


الإدارة العامة للثقافة والنشر
سلسلة دعوة الحق
كتاب شهري محكّم

# قضايا المسلمين في القصص الإسلامي المعاصر

أ/ يحيى حاج يحيى

السنة الرابعة والعشرون العدد (٢٣٤)
العام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

# قضايا المسلمين

# في

# القصص الإسلامي المعاصر

تأليف الأستاذ :

**يحيى حاج يحيى**



# مُقَدِّمَة

الحمـــد لله رب العــالمـين، والصــلاة والســـلام الأتمــان الأكملان على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد:

فقد بدأت القصة بشكلها المعاصر تدخل مجتمعاتنا مترجمة ومقتبسة؛ ووجدت لها جمهوراً قارئاً؛ مع ما فيها من اختلاف في التصورات العقدية ، والسلوك الاجتماعي ، لأنها كانت تمثل المجتمعات التي كتبت بلغاتها أصلاً . ثم نسج عدد من الكتاب على منوالها مع تغيير في الأسماء ، وتحوير في المواقف ، ولكنها ظلت أقرب إلى الأصل الذي اقتبست منه . ولم يمض وقت طويل حتى برزت القصة التي تعبر عن قيم الإسلام ، وتدافع عنه، تشق طريقها في ثقة وتكامل لتصبح وسيلة من وسائل الدفاع عن الإسلام وأهله ! في الوقت الذي اتخذها بعض المخدوعين رأس حربة للهجوم على الإسلام ، كما في أولاد حارتنا لنجيب محفوظ، والآيات الشيطانية لسلمان رشدي، ومسافة في عقل رجل لعلاء حامد انظر: (كتاب الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية) لأحمد أبو زيد من إصدار رابطة العالم الإسلامي- دعوة الحق العدد (١٤٥) وظن الكثيرون أن الساحة الأدبية خالية لهم !

فـأردنـا بهــذا الكتــاب أن نبـين أن هنـاك عـشرات

ومئات الروايات والمجموعات القصصية التي تدافع عن الإسلام قيما وعقيدة وتاريخا وتطبيقا وحاضرا ومستقبلا، ووجدنا أن الأمر يتطلب إبراز دور القصة الإسلامية بعد أن أخذت مكانتها في فنون الأدب وبعد أن تفوقت على كثير منه وظهرت الحاجة الماسة إليها لأنها كانت وما تزال، مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من آراء ومعتقدات وأعمال ولعل عصرنا يشهد ما للقصة من اثر في الحياة وتكوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهي سلاح فعال في النفوس، فإذا استطاع الداعية أن يستخدم هذه الأداة الممتازة ضمن دائرة الإسلام و لمصلحة هذا الدين والخلق كان القصص محمودا وطيبا ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى وجود القصة الهادفة بالإطار الفني المتعارف عليه وسنجد في فصول هذا الكتاب أن القصة الإسلامية لم تقف عند خندق الدفاع عن الإسلام فحسب ، ولكنها تخطته لتهاجم الخصوم في عقر دارهم ، فتكشف مخططاتهم وتبين زيف ادعاءاتهم .

فقد دافعت عن الإسلام ، فكشفت خفايا الحركات التنصيرية بأسلوب يبين حقيقة المؤامرة ، وفضحت أخلاقيات

اليهود ، وسلوكهم الشائن قديما وحديثا ، واستمرار تآمرهم على المجتمعات المسلمة ؟!

وواجهت الشيوعية التي حاولت أن تستتر خلف كتابات قصصية لكسب الآخرين فأبرزت وحشيتها من خلال وقائع قريبة من التاريخ، وأطلعت المسلمين على ما يعانيه إخوانهم تحت قبضتها. ودافعت عن الأقليات الإسلامية وعن قيم الإسلام، وكشفت السلوكيات المنحرفة محن جادة الصواب . ثم إنها أكدت على دور الدعاة في مواجهة الهجمة المادية التي تمثلها الحضارة الغربية ووقفت في صف المظلومين ، لتبين ما يعانونه في حياتهم . و لفتت الأنظار إلى ضرورة معالجة الواقع المخالف لرحمة الإسلام وإنصافه، ودعت إلى إعادة النظر في العلاقات الاجتماعية التي تسربت إليها العادات الغربية ، فأوهنت عراها ، كما دعت إلى التكافل الاجتماعي في ظل الإسلام ، وحذرت من الثغرات التي تنفذ منها الرذيلة، مستغلة ظروف الجوع والمرض والجهل ، لتدفع ببعض المحتاجين إلى الخروج على تعاليم الإسلام ، وعالجت في كثير من أعمالها قصية الأسرة وما تتعرض له من تخريب و تهديم ، كما تحدثت عن القضية الفلسطينية وتابعت مأساتها وسجلت مراحلها وبينت دور

المسجد في حياة المسلمين .

وأخيرا فإن القصة الإسلامية المعاصرة وهي تدافع عن الإسلام بشرت بمستقبل هذا الدين، ولاسيما بعد أن أفلست الحضارة المادية بشقيها في النظرية والتطبيق وعجزت عن إسعاد البشرية، واستشرفت دور الإعلام المستقبلي في حياة البشرية. لقد اثبت القصص الإسلامي بتنوع موضوعاته، وجرأة معالجته للواقع ، أن ساحة الإبداع ليست ملكا لأصحاب الفكر المنحرف .فها هو ذا يثبت وجوده من خلال عدد كبير من الكتاب ، وإنتاج وافر من القصص .و الحمد لله أولا و آخرا..

***

# الفصل الأول

# الصراع مع التنصير

# الفصل الأول
# الصراع مع التنصير

خَطَـتْ القصة الإسلامية المعاصرة خطوات مباركة في معالجة مختلف قضايا المسلمين – كما سنتبين في كثير من فصول هذا الكتاب– فهي لم تقتصر على التاريخ للكشف عن صفحاته الناصعة، ولكنها دخلت إلى الواقع الإعلامي المعاصر، تتبنى قضايا المسلمين وتدافع عنها ، وتظهر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه وتشارك في صد الهجمة التنصيرية بتبيين أخطارها، والكشف عن أساليبها، وفضح زيف شعارات المحبة والأخوة ؟!!

وقد استطاع الروائي المسلم "نجيب الكيلاني" في روايتيه (الظل الأسود) و(عمالقة الشمال) أن يكشف عن الوجه الحقيقي لما يسمى بالتبشير على أرض إفريقية.

أما لماذا إفريقية بالذات ، فلأنها كانت وما زالت تتعرض للحملات التنصيرية التي رفعت منذ أعوام شعاراً يقول : (إفريقية نصرانية في عام ألفين ) ؟!!

يقول الدكتور عبد الودود شلبي في كتابه (حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي _ دراسة

ميدانية)[1] :

((وضعت دول الاستعمار إمكاناتها كلها في حرب الإسلام ، وانهالت الأموال على هيئات التبشير، واشتدت الحرب على الإسلام في أفريقيا ، وفي أواخر القرن الماضي، تكشفت الأمور محن حقيقة أذهلت أهل الغرب كله . . . برغم كل هذه الجهود انتشر الإسلام أكثر وأكثر . . . ففي إفريقيا المدارية والاستوائية تضاعفت أعداد المسلمين ما بين عامي ١٨٤٠-١٩٠٠م، كانوا يقولون في إحصائياتهم : إن المسلمين في غرب إفريقيا السوداء، يصل عددهم إلى ( ٢٠) مليوناً ، وكان هذا تدليساً منهم ، فإن العدد الحقيقي كان قريباً من ضعف ذلك العدد.

ولكن الأمر الذي روعهم أنهم اكتشفوا في إحصاء عملوه ١٩١٢م أن أعداد المسلمين في الغرب الإفريقي جنوب الصحراء وصل إلى (٦٠) مليوناً منهم (٢٥) مليوناً في نيجيريا وحدها )).

(( ومع نهاية عصر الاستعمار ( خلال الستينيات ) كان سكان إفريقيا في مجموعهم يقدرون بحوالي ( ٣٠٠ ) مليون نسمة ، وعددهم في أوائل السبعينيات (٣٣٥) مليون نسمة.

---

(١) حقائق ووثائق ١٢/ .

ومن مجموع سكان إفريقيا كان عدد المسلمين يقارب النصف آي حوالي (١٦٠) مليون مسلم. وكانت المؤشرات تدل على أن الإسلام في تقدم . . . وأنه في نهاية القرن سيكون ثلثا القارة مسلمين وبهذا تنحسم معركة الصراع الديني والفكري الخطيرة في إفريقيا لصالح الإسلام والعروبة.))[٢]

فاتخذت الكنيسة من الإمكانات ، وهيأت من الوسائل، وحشدت من الجهود ما تتصور معه أن تحقق أهدافها، متجاهلة أن القارة السوداء تضم مئات ملايين المسلمين، وأنها ليست مجرد قبائل متناثرة هنا وهناك .

ولعل أعظم مؤامرتين على الإسلام والمسلمين كانت على أرض الحبشة وفي نيجيريا . وكان على الأدب الإسلامي وهو يقوم بدوره ، وبالذات الفن الروائي أن يجعل هاتين المأساتين حاضرتين في ذهن الإنسان المسلم ، حيتين في وجدانه. حتى لا تتكرر الماسي ولا يلدغ المسلمون من جحر أكثر من مرة .

ففي رواية ( الظل الأسود ) التي دارت أحداثها فوق أرض الحبشة انتقل الصراع ليشكل مأساة دامية تشمل شعبا بأسره .

وقد اجتمعت في شخص ((هيلاسلاسي)) عمالة

---

(٢) المصدر السابق / ١٤، نقلا عن كتاب الدكتور حسين مؤنس "الإسلام في خطر" .

للفاتيكان وللأمريكان وللصهيونية - كما يقول الدكتور عماد الدين خليل في كتابه : (مأساتنا في إفريقيا)-ويضيف : ((تلتقي وتمتزج في شخصيته ونشاطه دماء، هذه الوجوه جميعا دون فواصل بينها ولا حدود ، وهو الذي يؤكد بأن الحبشة جزيرة مسيحية في محيط إسلامي، وأنها منطلق لتوجيه النشاط المسيحي الهائل إلى داخل الحبشة، وإلى المناطق الإفريقية الأخرى القريبة منها ))[3]

(( وقد عرضت هذه الرواية مأساة الإمبراطور المسلم (إياسو) الذي كان نصرانياً، فهو حفيد الإمبراطور (منليك)، ولكن أمه وأباه كانا مسلمين، وتنصرا تحت الضغوط السياسية ، ولم ينس إياسو دينه ، وعندها سنحت له الفرصة بعد تسلمه العرش عاد إلى إسلامه، وقد صور الكاتب ما ثار ضده من مؤامرات ودسائس محلية ودولية انتهت بالإطاحة به، على يد (هيلاسلاسي) الذي تسلم العرش من بعده[4].

ويبدو وجه الصراع جليا وواضحا في الحوار الذي دار بين إياسو ووالده ميكائيل المكره على إظهار نصرانيته ، وهو

---

(٣) مأساتنا في أفريقيا /١٣٩ – ١٤٠ .

(٤) خصائص القصة الإسلامية ، د .مأمون فريز جرار /٢٠٦ .

ينصح ولده ويحذره من إظهار العداء ، والنفور من المطران ((الأنبا ميتاوس)) مطران الحبشة وصاحب النفوذ الضخم في أرجاء البلاد . . .

(( قال الشاب ( إياسو ) في اشمئزاز بالغ : أبتي . . إني أكاد أختنق . لشد ما أكره هؤلاء القساوسة ، إنهم يتحدثون كثيراً عن الله، وملكوت السماء ، وعن المسيح الذي حمل على كاهله الآم البشر وخطاياهم حتى يحقق لهم الغفران ؟ !

لشد ما يخنقني يا أبتاه أن أرى تلك الأقنعة الزائفة على وجوههم . . . إن عيونهم تبرق بالشر ، وهم يتحدثون عن الرحمة ، ويطنبون في الكلام عن الاستقامة والخلق القويم ؛ مع أن رائحة الخمر تفوح من أفواههم ، ولا يفتئون يرددون عبارات الأخوة والتسامح وبركات الله . وتاريخهم كله آثام سود ومجون وعربدة ومشاجرات بين بعضهم بعضا[٥] .

أما ( تفري ) الذي أصبح بعد ذلك إمبراطوراً للحبشة تحت اسم هيلاسلاسي فكانت صورة مقابلته للمطران ميتاوس تقوم على التعاون المشترك للقضاء على المسلمين .

- شكراً أيها العزيز تفري ، لقد أثبت كفاءة نادرة في إدارتك لدفة المعارك في كل مكان، كما أني أكرر الشكر للهدايا

---

(٥) الظل الأسود ، ص ٧ .

والهبات التي قدمتها للكنيسة ورجالها .

قال تفري وابتسامة ماكرة ترتسم على فمه المقيت :

- هذا قليل من كثير . . . إننا لم ننتصر إلا ببركاتك أيها الأب المقدس. . .

وصمت برهة ثم استطرد قائلا: لسوف آمر بهدم المساجد ولسوف يقام مكان كل مسجد كنيسة . . . ليس هذا فحسب، بل ستبنى الكنيسة بأيدي المسلمين أنفسهم؛ وستكون جميع تكاليف البناء من أموالهم ، ولسوف أعمل على تحويل ملاّك الأراضي الزراعية من المسلمين إلى عبيد للأرض، بعد أن أهب هذه الأرض للكنيسة ولجمعيات التبشير التي ترضى عنها، لقد كان في نيتي أن أذبح كل مسلم على ظهر هذه البلاد . لكنك تعلم أنهم ماهرون في الزراعة والصناعة ، ونشاط البلاد الاقتصادي يعتمد إلى حد كبير على جهودهم المتصلة ... نحن في حاجة ماسة إلى هؤلاء الأذكياء الذين يمتازون بالدأب والصبر، ولسوف أضع لهم برنامجاً حازماً للتنصير ، سيكون لك فيه اليد الطولى .

لقد أصدرت أمري فعلا بإغلاق المدارس التي تدرس العربية والمكاتب التي تعمل على تحفيظ القرآن . وطلبت من الشرطة القبض على أي عالم أو شيخ يحاول أن يلقي دروسا

للوعظ والإرشاد لسوف تجف منابعهم الفكرية والثقافية. ولسوف تنتزع منهم الأرض، ولسوف أظل معلقا سياط التنكيل على رؤوسهم .. فيعيشون في جهل وفقر وخوف، وبهذا نقضي على الإسلام والمسلمين قضاء مبرماً . . . أهناك ما يمكن أن أقدمه قرباناً للرب يسوع وللكنيسة الموقرة أكثر من ذلك؟!(٦)

وأما رواية ( عمالقة الشمال ) فكانت أقرب زمناً من سابقتها حيث جرت أحداثها ما بين عامي ١٩٦٥-١٩٧٠م. وكان مسرحها أرض نيجيريا حيث تعرض هذا البلد المسلم لسلسلة من المؤامرات الصليبية الحاقدة بغية التخلص من قياداته الإسلامية التي كان نجاحها في مضمار الدعوة، وتأثيرها في المحيط الذي تعيش فيه من الأسباب التي دفعت بالصليبيين للانتقام والتنكيل . . .

(( لقد وقف الزعيم المسلم ( أحمد أوبللو ) رئيس وزراء الإقليم الشمالي في نيجيريا - سابقا - كالعملاق يدعو للإسلام في نيجيريا ، ويدافع عنه وسط بحر من النشاط العدائي الذي تولى المبشرون كبره، ونفخت فيه نار السموم كل من الصهيونية والاستعمار .. وقف كالعملاق يدعو وينافح،

---

(٦) الظل الأسود ص (١٤٤- ١٤٥) .

ويدخل الرعب إلى قلوب المبشرين وشركائهم . وقاد بنفسه حملة الدعوة للإسلام بين الوثنيين عام ١٩٦٣م. فربح لصفوف المسلمين في آخر العام ستين ألفاً منهم . أما في نهاية عام ١٩٦٤م فكان عدد الذين دخلوا الإسلام على يده (٣٦٦.٨٩٨) وثنياً ونصرانياً . وكان هذا الرقم أكثر بكثير مما ربحته الإرساليات التبشيرية مجتمعة في شمال نيجيريا من الوثنيين خلال ثمانين عاماً ))

((وخطا أحمد أوبللو خطوات أخرى في سبيل تعزيز الوجود والثقافة الإسلامية ، واللغة العربية في المنطقة ، فوثق اتصالاته بالعالم العربي حكومات و شعوباً ، وافتتح في إقليمه مدارس خاصة لتخريج مدرسي اللغة كي يأخذوا على عاتقهم مهمة تعليم أبناء المسلمين في نيجيريا لغة القرآن الكريم ، وارتقى منبر المؤتمرات الإسلامية ليعلن بصراحة المؤمن عن خطر المبشرين ومدى تغلغلهم ونفوذهم وقوتهم ، وطالب زعماء العرب والمسلمين أن يسعوا لدرء هذا الخطر بالعمل الهادف والجهد الدائب ودعا إلى تكوين (كومنولث إسلامي) وزار معظم الدول العربية لنشر الفكرة وطلب دعمها))[٧].

((من أجل هذا كله فتح المبشرون والمستعمرون

---

(٧) مأساتنا في أفريقيا / ٩٠- ٩١ .

والصهاينة عيونهم على الخطر الذي يمكن أن يشكله هذا الإقليم وزعيمه ضد مطامعهم في إفريقيا . . والذي يطلع على ما كتبه المبشرون يرى بوضوح مدى الأهمية التي يعلقونها على الإقليم المذكور ، والقلق الذي يساورهم من بقائه مسلما ، ومن إمكانية انتشار الإسلام عن طريقه إلى سائر أنحاء أفريقية السوداء. ))[٨]

ولا عجب أن تبدأ المؤامرة، وتحاك خيوطها بتخطيط وتوجيه من المنصرين ، وتنفيذ ممن تربوا في كنائسهم ، وعاشوا في كنفهم . وعلى إثر ذلك عينت أمريكا سفيراً جديدا لها في نيجيريا هو (جوزيف بالمر) الذي دبر عدة انقلابات في أفريقيا ختمت بالانقلاب الدموي في نيجريا الذي قاده (يعقوب جاوون) والذي ذبح فيه الشهيد أحمد أوبللو وعدد من وزرائه ومساعديه ذبحا .

وقد أوضحت هذه الرواية (عمالقة الشمال) كثيرا من خيوط المؤامرة مما يتسع له العمل الروائي .

ومن جانب آخر أوضحت ما يتعرض له الذين يعتنقون الإسلام . وهذا ما نجده في الاضطهاد الذي انصب على

---

(٨) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

نميل إلى استخدام كلمة منصرين بدلا من مبشرين ، ولكننا نورد الكلمة كما جاءت في النص .

(جاماكا) وهي ممرضة نصرانية من أصل وثني اعتنقت الإسلام (( عندما أسلمت طردوني من المستشفى الذي كنت أعمل به . . خرجت هائمة على وجهي ، أصبحت بين (الإيبو) الذين يعيشون في الشمال كالمنبوذة ، لقد ظن المنصرون أن بأيديهم مفاتيح الرزق ))[٩]

ويصف ( عثمان أمينو ) وهو بطل الرواية ، ويمثل الخلق الإسلامي في التعامل مع الآخرين ء وفي الدعوة إلى الله ، يصف ما أصاب جاماكا من عنت المنصرين وحقدهم : ((كان الله في عونك يا جاماكا لشد ما عانت في هذه الفترة العصيبة من أهوال . . هذا ما روته لي فيما بعد ، لقد ضاقت في وجهها كل السبل ، وخاصة بعه أن سجن الشيخ عبد الله ، وبعد أن أصبح معروفاً أنها قد اعتنقت الإسلام . . طاردتها المؤسسات التبشيرية في عنف . . لاحقتها بالتهديد والتخويف .

إن جل المستشفيات في يد الكنيسة، والكنيسة غابة عليها، ولذا كان من الاستحالة. بمكان أن تجد عملاً في مستشفى آخر بعد أن فصلت من المستشفى الأول، وأصيبت المسكينة بما يشبه الصدمة . . لقد علمها القساوسة والرهبان في البداية أن الدين محبة وتسامح وحرية، وأنه يرفض التعصب والعنف،

---

(٩ ) عمالقة الشمال ، ص ١٠١.

ويقدس كرامة الإنسان ، لكنها الآن ترى بعينها انهيار القيم التي حدثوها عنها في قرى وغابات الإيبو من قديم... ابتساماتهم الحلوة تحولت إلى تكشير عن أنياب الغدر ، كلماتهم الرقيقة أصبحت زجراً وسباباً... لمسات الحنان انقلبت إلى دفع وقسوة حاربوها في رزقها حتى كادت تموت جوعا....[10]

وتفضح جاماكا هذه المؤسسات قائلة : ((كان إسلامي اختبارا لماهية المبادئ التي يتشدقون بها، إنهم متعصبون حمقى)) تحركهم نزوات حيوانية تشبه نزوات الحيوانات في الغابات .. لم أعد أشك في أن هذه المؤسسات التبشيرية لا تعرف الكثير عن الله أو الإنسان ، إنهم مجرد تجار . . . جنود في جيش كبير يخدع العالم ، ويمهد لإنتهاب ثرواته،والسيطرة على مقدراته . .))[11]

إن هذه الرواية ، مع روايتي: ( عذراء جاكرتا -وليالي تركستان ) كانت موضوعاتها وأحداثها تدور حول قضايا تهم واقع المسلم ، وتفتح قلبه وبصيرته على حقيقة الصراع الذي يدور من حوله متخذاً أشكالاً مختلفة ، وتظهر دور الاستعمار والصهيونية والتبشير والاستشراق والجاسوسية ، والحركات

---

(١٠) عمالقة الشمال ، ص ١١٤.

(١١) عمالقة الشمال ، ص ١١٤ – ١١٥ .

الأخرى التي تظهر بأسماء براقة وتتظاهر بادعاءات خادعة من التقدم والتطور ، فتبدو هنا على حقيقتها ، وتنكشف غاياتها ، وتظهر نواياها من وراء ما تخفيه من حقد وطمع وتآمر ، كما تكشف التقارب في أساليب هذه القوى الحاقدة ، وغاياتها ليعرف المسلم انه هو وحده المستهدف من وراء هذه الحروب المتنوعة وأن عقيدته أولا وأخيرا – هي التي تقض مضاجع هؤلاء جميعا ..

وفيها تبدو صورة الإنسان المسلم المؤمن بربه الساعي لمرضاته عز وجل، وتعطينا ألوانا من جهاد هؤلاء في كل مكان رغم الصور الداكنة التي تحيط بهم ورغم شراسة الكيد والحرب المعلنة ضدهم كما تبرز فيها العاطفة الإنسانية الصادقة دون تزييف أو تحريف أو لجوء إلى اصطناع المواقف المثيرة أو تضخم اللحظات الشاذة (١٢)

وبعد: فنستطيع القول بأن القصة الإسلامية واكبت الواقع ولكنها لم تنقله بحرفيته بل أبرزته من خلال صراع متنام وشخصيات تظهر مكنوناتها من خلال حديثها عن نفسها.و حديث الآخرين عنها والملاحظ أنها لم تخترع أحداثا

---

❖ سنعرض لهذه الروايتين في الفصول القادمة .

(١٢) في الأدب الإسلامي المعاصر لمحمد حسن بريغش ( ص ٢١٤ وما بعدها بتصرف) .

ولم تنطق أشخاصا بغير ما يسرون و أنها أبرزت الثالوث المسلط على واقع المسلمين ( الجهل والمرض والفقر ) من خلال عمل لخطط له ومنهج تبناه المنصرون.

و بذا نستطيع القول بان الفن الروائي استطاع أن يوائم ما بين الواقعة وبين العمل الأدبي وان يخدم قضايا المسلمين ويظهر معاناتهم وأن يكون وثيقة تنقل المعلومة الصحيحة بأسلوب مؤثر جذاب .

***

# الفصل الثاني

# الصراع مع اليهود

# الفصل الثاني
# الصراع مع اليهود

يستطيع المرء أن يقول واثقاً : إن القصة الإسلامية المعاصرة قد رصدت الصراع مع اليهود في كل مراحله الماضية! فهي قد عادت إلى التاريخ القديم ، والقديم جداً لتبيّن أن الصراع معهم في هذه الفترة من الزمن ليس سوى صفحة من صفحاته الكثيرة ، وهو صراع بين الحق الذي يمثله الأنبياء والصالحون والدعاة من جهة ، وبين الباطل الذي يمثله المنحرفون عن منهج الله بما يكيدون للأنبياء والدعاة والصالحين ، وبما يزوّرون من حقائق ، ويحرفون من كلم. فاليهود ليسوا مجرد معتدين على الأرض الإسلامية فحسب، بل هم بما ورثوه من انحرافات آبائهم أعداء لكل حق وفضيلة! وقد حرص القصص الإسلامي المعاصر أن يبين هذه الحقيقة من خلال أعمال روائية ذات إطار تاريخي، مبرزاً ما فعله اليهود مع الأنبياء السابقين، كاشفاً سلوكهم المشين في الوصول إلى غاياتهم الدنيئة .

وقد عالج عبدالحميد جودة السحار هذه الناحية في مجموعته ( قصص من الكتب المقدسة ) في أقصوصتين، حملت

الأولى عنوان (استر) وهو اسم ليهودية شهيرة وردت في التوراة، وبين كيف يوظف اليهود علاقاتهم بالحكام عن طريق النساء للوصول إلى النفوذ والسيطرة وقد جرت أحداث هذه القصة في العراق إبان سبي اليهود المشهور .

والأخرى (سالومي) وتدور أحداثها في فلسطين زمن النبي يحيى عليه السلام، وأما سالومي فهي اليهودية التي سعت إلى قتل هذا النبي الكريم وقد شغفت به حباً، وحاولت إيقاعه في حبائلها لكنه أبى وعف[١٣].

ويستمر هذا الصراع مع توالي السنين ويرصد له الدكتور نجيب الكيلاني في روايته ( نور الله) التي تحدثت عن الصراع الدامي الذي خاضته الدعوة الإسلامية ضد أعدائها من يهود ومنافقين، ويظهر فيه تآمر يهود، وتحركهم بالمال والنساء والكلمة المسمومة ، وتحريضهم للمشركين بعد هزيمتهم في بدر، ثم سقوط أوكار اليهود من بي قينقاع، واكتشاف تآمر بني قريظة، ووضع نهاية لأحقادهم في اجتياح حصون خيبر بعد محاصرة النبي ﷺ لها .

---

(١٣) قصص من الكتاب المقدس / ٤٥٢ – ٤٥٣ (دليل مكتبة الأسرة المسلمة).

وقد رسمت الرواية من خلال أحداثها وأبطالها ملحمة الصراع بين الحق والباطل ، وأظهرت سماحة الإسلام مع خصومه على الرغم من تآمرهم وسوابق تعديهم[14].

وفي قصته (دم لفطير صهيون) يرصد الكيلاني لمرحلة جديدة تكشف أحقاد اليهود وكراهيتهم لأبناء الديانات الأخرى، وجرائمهم والسعي لسترها بشتى الأساليب، وتتحدث هذه القصة عن واقعة جرت في دمشق عام ١٨٤٠م أيام حكم محمد علي باشا ، وسيطرته على الشام . إذ أقدمت مجموعة من اليهود على ذبح القسيس البادري توما مع خادمه للحصول على دم مسيحي لاستعماله مع الفطير المقدس الذي يعده اليهود في أعيادهم!! والقصة تصور الحقد اليهودي متمثلا في أشخاص الحاخامات الذين أشرفوا مباشرة على الذبح، كما تتحدث عن انكشاف أمرهم ودخولهم السجن ومحاولتهم استعمال الرشوة التي تعبر عن أخلاقية اليهود في جعل المال وسيلة للحصول على ما يريدون، ثم التدخل اليهودي العالمي لستر هذه الفضيحة التي اطلع عليها قناصل الدول في دمشق آنذاك، ونجاح هذا التدخل لدى محمد علي باشا بعد أن دفعوا أموالاً طائلة من أجل استصدار أمر

---

(١٤) القصص الإسلامي المعاصر : عرض وتوثيق/ 274، للمؤلف .

ببراءتهم ، وإعادة اعتبارهم[١٥].

وإذا انتقلنا إلى أوائل القرن العشرين نقف عند قصة أخرى للكيلاني حملت عنوان (النداء الخالد) التي تدور أحداثها في قرية من قرى الريف المصري لتكون مسرحاً مصغراً لما يجري على ساحة المجتمع .

ويبرز الصراع هنا بين الخير الذي يمثله الشيخ (عنبة) والشر الذي يمثله اليهودي (يني)، فقد جاء هذا اليهودي إلى القرية وهو لا يملك شيئا يذكر ، فأنشأ خمارة و بقالة ، وتظاهر بالتسامح لكي يثق الناس به، فكان يقدم أحيانا بعض الخمر مجاناً؟! فكون ثروة أصبحت تتنامى، إذ صار المحتاجون يقترضون منه، ثم يعجزون عن سداد القرض وفائدته، فيستولي على أراضيهم ، وكان يني كثير الانزعاج من الشيخ (عنبة) الذي ما فتئ يحذر الناس من الخمر والربا ما دفع يني لأن يعرض على قاتل محترف اغتيال الشيخ؟! ولكن الله سلم واشتد الصراع، بدأ القلق يساور يني، فقرر الارتحال إلى الإسكندرية، واستخلف أحد معاونيه وتابع خليفته ابتزاز الفلاحين، واستمر الشيخ عنبة في مهمته ، وليس يملك إلا الكلمة يحذر الناس ويعظهم، ويدعوهم إلى سلوك طريق

---

(١٥) المصدر نفسه / ١٢٦ .

الاستقامة، وتكللت جهوده وجهود المخلصين بالنجاح والخلاص من الظالمين والمرابين جميعا [١٦] .

وإذا وصلنا إلى نكبة عام ١٩٤٨ م في فلسطين وما سبقها من أحداث تصور لنا قصة ( مشرد بلا خطيئة ) لمحمد عبده يماني ، الغدر والمكر اليهودي كوسيلة من وسائل السيطرة والاحتلال، وأن ليس لهؤلاء عهد ولا ميثاق!! تتحدث القصة عن أسرة فلسطينية هي أسرة (أبو إبراهيم) التي كانت تسكن قرية عين كارم ، وتجاورها أسرة يهودية مهاجرة هي أسرة حاييم ، وقد عاش (حاييم) وأبناؤه (يوري) و (راشيل) مع أهل القرية في أمان ، ولم تظهر عليهم أي بوادر للعداوة . إلا أن الهجوم على (دير ياسين) ومن ثم (عين كارم) كشف خفايا ( حاييم ) الذي لم يكن أقل عداوة من رجال العصابات المهاجمين ، فقضى أبو إبراهيم مع كوكبة من أهل القرية ، واضطرت أسرته إلى الهجرة خارج فلسطين ، وبقية أرملته مع طفلها إبراهيم تنتقل من معاناة إلى معاناة . . . وتكبر هموم الفلسطينيين مع مرور الزمن ، ويكبر إبراهيم ويشترك في إحدى العمليات الفدائية ، ثم في معركة (الكرامة) التي التقى فيها اليهود مع الشباب المجاهد وجهاً لوجه فاندحروا أي

---

(١٦) المصدر السابق / ٢٧١ .

اندحار ، ووقع عدد منهم في الأسر ، وفوجئ إبراهيم برفيق طفولته يوري، وقد استدل عليه بواسطة وشم في يده، ويحاول يوري أن يستعطف إبراهيم ، فيقترب منه ، ويستل سكيناً من تحت إبطه ليطعن بها إبراهيم، ولكن إبراهيم يعاجله بطلقات ترديه قتيلا، ولم يستطع الغدر الذي استغل التسامح في المرات السابقة أن ينجح في هذه المرة[17].

وشاركت الأقصوصة بشكل كبير في تصوير هذا الصراع ولا سيما بعد نكبة عام ١٩٤٨م، ففي (خط اللقاء) التي شارك فيها الكاتب الفلسطيني محمد السيد، كانت أقاصيصه الثلاث[18] تصب في هذا الاتجاه. حملت الأولى عنوان خط اللقاء وصورت مرحلة وجانباً من جوانب الصراع على أرض فلسطين من خلال عامل في مصفاة حيفا وتحدثت الثانية (العملاق) عن بطولة طفل فلسطيني استطاع أن ينقذ رجلاً بعد مذبحة قام بها اليهود معرضا حياته للخطر ، وأما الثا لثة (رحلة مع الموت) فتحدثت عن رجل فلسطيني يعيش في قرية قريبة من حدود فلسطين المحتلة وقع أسيراً وهو يهيئ نفسه للعودة.

---

(١٧) المصدر السابق /٢٥٢ .

(١٨) خط اللقاء / ٤١ ، ٦١ ، ٨٥ .

وفي مجموعته (شاطئ الرؤى الخضر) تعرض محمد السيد لعدد من جوانب هذا الصراع من خلال رؤية إسلامية ، كان نصيب هذه القصية ثلاث أقاصيص أيضاً هي : (متى تعود الطيور المهاجرة) وقد عرضت للواقع المؤلم الذي تمر به أمتنا من خلال حوار بين صلاح الدين وبين مدينة القدس . ثم (العودة) وتحكي معاناة مهاجر فلسطيني يقتل ابنه عند أحد الحواجز فيعود مصمما على الثأر، وأما أقصوصة (أبو كليب) فقد أعطت العبرة لمن لا يلتزمون جانب الحق في هذا الصراع ، ذلك آن رجلاً كان يتعامل مع اليهود وكان عينا لهم ، ولكنه كان أول المتصورين من جرائمهم حيث هجموا على القرية ، وقتلوا ابنه[١٩].

وفي مجموعة (القارب) لمحمود مفلح تعبر أقصوصة (الأرض) عن إصرار الفلسطينيين على متابعة هذا الصراع حتى نهايته ، والعزم على تحرير أرضهم ولو بشكل فردي وإن أدى ذلك إلى الموت[٢٠] .

وكتب محمد جهاد البنا في مجموعته القصصية (الفستان والرصاص) أقصوصتين حلت الأولى عنوان المجموعة،

---

(١٩) شاطئ الرؤى الخضر / ١٥ ، ٢٥ ، ٣٥ .

(٢٠) ص / ٧٠ .

وتحدثت عن مجاهد في فلسطين يحلم أن يعود لابنته بفستان جديد ،فيفاجأ بأنها انخرطت مع خالها في العمل الجهادي وتحمل مسدسا تدافع به عن نفسها و أما الأقصوصة الأخرى (المخيم والبحر) فقد حرصت على إعطاء هذا الصراع وجهه الحقيقي وهي تستلهم ذلك من بدايات المقاومة في بطولات الشيخ أمين واختفائه من مدينته الساحلية ومهاجمته لقوات الاحتلال مع عدد من الشباب ثم انكشاف أمر استشهاده مع أربعين من شباب المدينة !! [٢١]

ويدخل صراعنا مع اليهود و الباطل مرحلة جديدة نأمل فيها من القصة الإسلامية أن تعبر عن هذا الواقع برؤية تتناسب مع وضوح المؤامرة وانكشاف أدواتها وقد سبق لها أن دافعت عن القضية الفلسطينية وتابعت مأساتها وعادت بالصراع مع اليهود إلى جذوره الأولى ، حين وقفوا في وجه الدعوة تكذيبا وتآمرا وبينت أن الصراع معهم هو صراع مع باطل له ماض أسود حافل بأنواع التآمر ولم يَكُفَّ في عصر من العصور عن ذلك وهذا ما لم تغفله القصة الإسلامية في تصويرها لحقيقة الصراع العقدي والتاريخي وما سياق الحديث عنه في فصل ((القضية الفلسطينية والقصة

---

(٢١) ص ٦١ .

الإسلامية)) إذ لم يعد الأمر مجرد حديث عن مآس ونكبات بل تعدى هذه المرحلة ليبشر بنصر قادم بإذن الله بدأتً طلائعه بصحوة راشدة في فلسطين تدير الصراع كما يجب أن يكون .

***

# الفصل الثالث

# الصراع مع الشيوعية

# الفصل الثالث
# الصراع مع الشيوعية

ليس عجيباً أن يقف الإنسان المسلم من الشيوعية فكراً ونظاماً موقف الرافض المحارب والمواجه لها على مختلف الأصعدة .

فالخلاف بين الإسلام والشيوعية خلاف بين الكفر والإيمان، والجاهلية والإسلام ، وقد أصاب المسلمين منها ما أصابهم خلال السبعين عاماً الماضية، وما يزال بعضهم يعاني من شراذمها المتبقية في بعض الأقطار .

إن ساحات الأحداث شهدت صراعاً مريراً مع الشيوعية - مع وجود الستار الحديدي - على مستوى المواجهة الجهادية ، وعلى مستوى الفكر والأدب . وقد حفل الأدب القصصي بعدد من الأعمال التي أبدعها الروائيون المسلمون من عرب وغيرهم . وامتد الصراع من الأراضي التي استولى عليها الشيوعيون بالقهر والقوة إلى البلاد التي نكبت بأذنابهم وأتباعهم؟ !

وقد دافعت القصة الإسلامية عن الإسلام والمسلمين الذين يعيشون في ظل الستار الحديدي ، في الوقت الذي كان

لعدد من الأنظمة في بلاد المسلمين صداقات مع دولتها الكبرى وكان بعضها يدور في فلكها . بل وكان بعض أبناء المسلمين مخدوعاً بشعاراتها شعارات المحبة والسلام .

وقد كشف القاص المسلم ما يواجهه المسلمون في تلك البلاد، فهاهي ذي رواية ((عذراء جاكرتا)) التي صور فيها نجيب الكيلاني محاولة الحزب الشيوعي الاندونيسي للاستيلاء على الحكم سنة ١٩٦٥م ، وما سبق تلك المحاولة، ورافقها من صراع بين هذا الحزب ، والقوى الإسلامية ممثلة في حزب ماشومي .

وقد قدم لنا صورة عن هذا الصراع من خلال المواجهة المتصلة بين " فاطمة " الشخصية الرئيسة في الرواية التي هي عضو في الجناح النسائي من حزب ماشومي و"عيديد" رئيس الحزب الشيوعي ،ومن خلال هذه المواجهة يطلعنا الكاتب على مجريات الأحداث [٢٢].

((ونستطيع أن نخرج بتصور واضح للشيوعية من خلال قراءتنا لهذه الرواية ، ونحن لا نكون فكرتنا تلك من خلال أسلوب نظري، أو عرض فكري يسأمه القارئ ، ويمله وإنما

---

(٢٢) ص ٢٠٧ – خصائص القصة الإسلامية ،د .مأمون فريز الجرار .

من خلال مشاهد حية مؤثرة نعيش معها ونتعاطف مع أشخاصها ! [٢٣].

إن الشيوعيين يبدؤون بأساليب مختلفة ، يظهرون فيها عدم عدائهم لآراء مخالفيهم ؟ !

كما نرى من خلال هذا الحوار بين الرئيس (سوكارنو)و (عيديد) رئيس الحزب الشيوعي ، وقد دار هذا الحديث قبيل إعلان الانقلاب الشيوعي[٢٤].

قال الرئيس : وماذا تظن الصدى الشعبي للثورة

- الشعب جائع، لا وزن له في الحقيقة إزاء هذه الأحداث، القوة وحدها تحسم الموقف ، والشعب أخيراً مع المنتصر ، لقد انتهى عصر ثورات الشعب كشعوب .

قال سوكارنو في شروده : لكنه شعب مسلم يا عيديد.

- أعرف . . ونحن نتظاهر بالإسلام .. وفي الإمكان أن تؤمنا في الصلاة عقب نجاحنا في المسجد الكبير . .

ضحك سوكارنو "بصوت عال" وقال: يا لك من

---

(٢٣) ص٢٧٤ – ٢٧٥ الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، لعبدالله بن صالح العريني .

(٢٤) ص ١٠٨ – عذراء جاكرتا .

شيطان !!

لكن عيديد نفسه لا يخفي غروره وكبرياءه ، وطمعه في تولي السلطة وذلك يبدو في حديثه مع زوجته ( تانتي ).

((سنجعل من الرئيس قنطرة نعبرها إلى قمة السلطة . . وبعد ذلك نسحقه كحشرة... وستجدين ملايين الصور لزوجك (عيديد) تغطي الجدران والنوافذ والأبواب واللافتات، وستتحدث صحف العالم عن الرفيق عيديد كما يتحدثون عن ماوتسي تونغ وستالين ولينين )) [٢٥] .

ويكشف عيديد أكثر عن خبيئة نفسه، وعن طموحاته وأطماعه، وعن المخطط الذي يختبئ وراءه الشيوعيون، وعن مناوراتهم، وقدرتهم على التلون والدخول إلى النفوس من باب شهوتها أو غفلتها .

يقول عيديد سأكون أحد الأنبياء الشيوعيين الكبار وسأجعل من الجزيرة الصغيرة التي ولدت فيها (بليتونغ) قبلة الزوار والسواح، وسأجعل من زوجات الجنرالات الكبار في الجيش الإندونيسي أرامل ، وسأسوق علماء الدين الإسلامي كما تساق الأغنام[٢٦] .

---

(٢٥) ص ٨ ـ عذراء جاكرتا .

(٢٦) ص ٩ ـ عذراء جاكرتا .

ونرى من خلال هذه القصة آن الشيوعيين لا يتأخرون لحظة عن البطش بخصومهم والتخلص ممن يعترضون طريقهم، وهم حين يرفعون شعار الحرية ، إنما يعنون بها حريتهم فقط .

لقد كانت الإذاعات تذيع بعد الثورة الشيوعية فقرات من خطاب الرئيس (سوكارنو) يقول فيه : ( إن الاستقرار لن يكون إلا بعد إراقة الكثير من الدماء ، فالطريق نحو هذه الغاية صعب جداً ، ولكننا يجب ألا تأخذنا الرحمة أو الشفقة، لا بد أن نصفي هؤلاء الرجعيين حتى لو أدى بنا الأمر إلى أن يقتل الأخ أخاه ، أو الابن أباه ، والقريب قريبه [٢٧] .

وقد طبق الشيوعيون من قبل هذه المخططات، وأراقوا من الدماء المسلمة ما لم يفعله غيرهم في العصر الحديث، وسبق هذه المجزرة ، مجزرة في الموصل عام ١٩٥٩م إبان حكم عبدالكريم قاسم للعراق ، ولحقتها مجزرة في أفغانستان على مدى سنوات طويلة، بعد انقلاب داود، وتتابع انقلابات الشيوعيين على بعضهم .

وقد رصدت القصة الإسلامية لهذه الأحداث وهو ما

---

(٢٧) ص ١٤٨ – عذراء جاكرتا .

ستتعرض له في روايتي (( الإعصار والمئذنة )) للدكتور عماد الدين خليل، ورواية ((الهجرة من أفغانستان)) للكاتبة الأفغانية ( مرال معروف ) .

فرواية الإعصار والمئذنة (( تتحدث عن ثورة الموصل إبان حكم عبد الكريم قاسم للعراق ، وعن تنمية الشيوعيين لغروره وانطلاقهم تحت مسميات ظاهرها تأييده، وباطنها التغلغل في السلطة، وإحكام السيطرة على البلاد، وضرب الخصوم بسيف النظام، وهي تصور الرفض الشعبي الإسلامي للشيوعية التي استغلت الموتورين ، والحقد الفظيع في نفوس الشيوعيين والمنحرفين، وتنكيلهم بالمدينة المسالمة التي رفضت أفكارهم المسمومة .

ويتركز الحدث الأكبر في هذه الرواية في الرد الإسلامي العفوي على مؤتمر (أنصار السلام) الذي أصر الشيوعيون على عقده في الموصل، على الرغم من تحذيرات قيادة الجيش المحلية وإلحاحها بضرورة تجنيب المدينة هذا الاستفزاز، فاندلعت الثورة في صورة رد فعل شعبي يؤيده عدد من الضباط، وعرف الشيوعيون حجمهم .

ولكن تدخل الجيش وقصف الطائرات رجح كفة الشيوعيين، فانطلقوا وهم يحملون الحبال والرشاشات

ليجعلوا من أعمدة النور مشانق إعدام ، وينتقموا من المدينة المجاهدة التي أذلتهم ))[٢٨].

وما أسرع ما يقيم الطواغيت المحاكم الميدانية، وما أجرأ الشيوعيين على سفك الدماء ، وفي جعبتهم من الألفاظ ما تقشعر لها الأبدان ، وتتقزز منها النفوس في آن واحد ( السحل - التصفية - الذبح - الإعدام - السلخ ) كل ذلك يوصف بالثورة والثورية والعمل الثوري ، وتصف لنا الرواية مشهداً من مشاهد التصفية لأحد أبناء المدينة في إحدى محاكمهم الميدانية (( كان هاشم قد هوى، وامتدت يده لكي تمسك بالعمامة ، ولكنها ما لبثت أن تراخت . .

بعدها، رآه (( حنا )) (أحد الرفاق الموتورين) جيداً وهو يختلج ، ويكافح لكي ينقلب على ظهره ، وقد تمكن أخيراً من تحقيق أمنيته . . . فارتاح[٢٩] .

وعجب حنا كيف يقدر رجل ميت على أن يبتسم ، اليد اليمنى لمت أصابعها ، ولكن باسترخاء عجيب ، بينما انطلقت السبابة من أسر القبضة، لكي ترتفع قليلا وبزاوية مائلة،

---

(٢٨) ص ٥٦ - ٥٧ (القصص الإسلامي المعاصر – عرض وتوثيق) يحيى الحاج يحيى.

(٢٩) الفصل الخامس والعشرون ، ص ٢٠٧ وما بعدها – الاعصار و المئذنة ، د. .عماد الدين خليل.

صوب السماء))

وشعر حنا بأن هاشم يتحداه مرة أخرى . .

وبحركة عصبية ونظرات تقطر غيظا تقدم لكي يكون إلى جوار هاشم تماماً . اعترته موجة حماس لم يذق طعمها من قبل . . . كان حينئذ يحس بنشوة عارمة ! لن تتحداني يا هاشم بعد اليوم ، وسوف أمرغ أنفك بالتراب .

رفع قدمه اليمنى قليلا ، ووضعها ببطء على وجه هاشم، وراح يدعك بحذائه الأسود الملطخ بالوحل اللحية التي تقطر دما . . .

وما لبث أن استدار لكي يقف وراء الجسد الملقى، لعله كان يريد أن يمنح الجماهير المحيطة به فرصة أكبر لرؤيته بوضوح . .

كان حذاؤه الأسود الملطخ بالوحل لا يزال يدعك بعصبية لحية هاشم عبد السلام ))

وفي رواية (( الهجرة من أفغانستان )) لمرال معروف ، تصوير لهجرة النساء الأفغانيات والأطفال والمسنين هرباً من وحشية الشيوعيين ، وما عانوه من ظلم المحتلين وفظائع الأذناب والمنافقين .

ففي الجزء الأول منها تتحدث عن هجرة أسرتها باستثناء الأب والإخوة الذكور لاشتغالهم بالحرب الجهادية، والظروف التي أحاطت بهذه الهجرة، ودوافعها ومشاق الطريق، وظروفه القاسية ، والإيمان بنصر الله، وهي هجرة من أفغانستان إلى بيشاور مدينة الأنصار[٣٠].

وتوقفنا الرواية عند هذه الصورة التي لا تزال تتكرر في ديار المسلمين، في فلسطين، في بورما، في الشيشان ، في البوسنة.

(( ركبنا السيارة وكان فيها عدد من الرجال وطفلان، الجميع مترب يعلوهم التراب ، انزوينا نحن: أمي وأنا وعائشة أختي في زاوية من زوايا السيارة ، وتحركت السيارة، وفي الزاوية الأخرى جلس طفل صغير في الثامنة من عمره القرفصاء على أرضية السيارة ، وفي حضنه أخ صغير له ،عمره خمس سنوات ، الولد الصغير نائم، التراب غطى العربة كلها ، أصبحنا وكأننا داخل طاحونة، لم نعرف الطفلين من كثرة التراب !

قالت أمي للولد : يا ولدي أعطني هذا الصغير لأحمله في صدري .

(٣٠) ص ٩ – الهجرة من أفغانستان .

وسريعاً مد الطفل المسكين أخاه إلى أمي . وكان النعاس قد غلبه هو أيضا .

أخذته أمي إلى صدرها ، ونظفت بحجابها وجه الطفل وعينيه ، فتح الطفل عينيه ونظر إلى أمي ))[٣١]

وفي القسم الثاني من الرواية ( الفرار من بخارى ) تصوير لحالة المسلمين في تركستان عندما لم تتح لهم الفرصة لأن يقوموا قومة رجل واحد ضد الاحتلال الروسي الملحد، وكانت النتيجة واحدة هي أن أبادت القوات الروسية المسلمين هناك إبادة جماعية مذلة[٣٢].

وأما القسم الثالث من عنوانه ( هجرة منور ) ومنور هذه صديقة مؤلفة الرواية وهي إحدى فتيات عائلات المجاهدين الأفغان التي كان لها فضل السبق في حركة تنظيم إمداد المجاهدين المحاربين في الجبال بالطعام .

والهجرة معاناة واضطراب وآمل، ومنور شاركت المجاهدين منذ البداية ، ثم كشف آمرها ففوجئت بالجنود الروس يحيطون بالمنزل ، فهربت .بمساعدة الجيران ، واتجهت إلى باكستان ، ولكنها تعرضت للاعتقال إذ تم التعرف عليها ،

---

(٣١) ص ٧٤ – ٧٥ الهجرة من أفغانستان .

(٣٢) ص ٩ – الهجرة من أفغانستان .

إلا أن أحد الضباط المتعاطفين يطلق سراحها مع أسرتها فتبادر بمحاولة جديدة للهجرة وتعبر الجبال غير أنها تقع في الأسر مرة أخرى[٣٣] .

(( أهذه هي الأسرة المقبوض عليها ؟

قال العريف : نعم – إنهم هؤلاء ، كانوا يحاولون الفرار .
قال الضابط ضاحكاً : واه واه ! . . . ما أجملهن !

بصقت شقيقتي فضيلة و بدقة بالغة على وجه هذا الخائن المستهتر عديم الحياء ، بصقت على وجهه بالضبط ولكن بكل آسف لم تصب البصقة وجهه ، وإنما وقعت تحت أرجله .

صاح الضابط: اقبضوا عليهم، أركبوهم بالقوة في السيارات . . .

ركبت أنا وفضيلة في سيارة ، وخورشيد وبيسو وزوجها في سيارة أخرى . وبدأت الجيب تأخذ طريقها بسرعة كانت زوجة أخي تبكي، وهي تذكر دوماً اسم ( ويس ) . لم أعد أنا وفضيلة نبكي، ترى ماذا سيفعلون بنا؟ هل يعيدوننا؟ يا للهول إذا أعادونا إلى جلال أباد . سيعرفون سريعاً من أنا، ومن هي أسرتنا . . آه ! ولا أدري لماذا تحدثت بالفارسية!

---

(٣٣) ص ٩ – الهجرة من أفغانستان .

ساعدنا يا رب ، نجنا يا رب من هذه المصيبة ، وأخذت في البكاء مرة أخرى ، آه ! ليت المجاهدين يعترضون طريقنا، وبذلك ننقذ بأمر الله عز وجل! ولكن ماذا سيحدث لـ (ويس)؟ أين هو لو هربنا نحن ، ترى هل يقتلونه؟ وبالطبع لقد قتلوا كثيراً من الأطفال الأبرياء مثل ويس ))[٣٤]

ونقف عند رواية أخرى تصور مآسي المسلمين على أيدي الشيوعية، فقد استطاعت رواية (السنوات الرهيبة) التي كتبها (جنكيز ضاغجي) أحد أبناء شبه جزيرة القرم، أن تكون نموذجاً مأساوياً لهذا التسلط ، فقد صورت ما حل بالمسلمين في تلك البلاد إبان الحرب العالمية الثانية . وما بذلوه للخلاص من الروس الذين كانوا يهدمون المساجد رمز شعب القرم في الوجود .

وكيف أن هذا الشعب فضل أن يستشهد واقفاً مكافحاً ، على أن يعيش ذليلا ، وقد غاصت هذه الرواية في أعماق النفس الإنسانية " وعرضتها في شواهد على بطولة الإنسان المسلم الذي واجه أعتى وحشية تفتقت عنها عبقرية الطغاة في القرن العشرين.

((وملخصها: أن صادق طوران ينشأ في مدينة (آق مسجد)) القرمية فيشهد صور الإرهاب الروسي للقهر

---

(٣٤) ص ١١١ – ١١٢ الهجرة من أفغانستان .

والإذلال، وقد رأى بأم عينيه كيف استولى الشيوعيون على بيته، وطردوه مع أفراد الأسرة، ثم حرموه من متابعة دراسته، واعتقلوا والده، وأحاقوا بالأسرة ظلما فادحا، ثم أجبر صادق على الالتحاق مع أعداد غفيرة من شباب القرم بالجيش الروسي الذي يحارب ضد الألمان في قضية لا يؤمن بها صادق، إلا أنه وقع في أسر الألمان الذي أذاقوا شعب القرم الويلات من المهانة والتسخير، وبذلك يكون القرميون قد وقعوا بين نارين : نار التسلط الشيوعي، وقد دفعهم إلى أتون الحرب والتشرد، ونار الألمان الفاشية حيث إن مناطق المسلمين على الحدود كانت مسرحاً للمعارك بين القوتين العظميين .

ورواية السنوات الرهيبة تصور قضية هذا الشعب من خلال طفولة صادق، إلى أن أسره الألمان، ثم عرضوا عليه العمل في صفوف المخابرات، وعندما رفض أعادوه إلى الأسر[٣٥] .

لقد استطاع المؤلف أن يرسم صورة المأساة بريشة صناع على نحو ينساب محققاً التأثير المطلوب ، ويصور الإرهاب الروسي في كثير من المشاهد ، ومنها هذه الصورة التي تحدث

(٣٥) مجلة المشكاة ، العدد / ٨ / لعام ١٩٨٨ م – ص ١٤ (السنوات الرهيبة) نقد و تحليل د . احمد محمد الخراط .

فيها صادق عن طفولته وما عانت من مآس : ((اقتربت نحوها بخوف مرير ، وقلت لها : ماذا حدث يا أمي؟ أين أبي؟ لماذا تأخر؟ أجابت : أبوك لن يأتي ، اقتادوه إلى السجن ، إنه لن يأ . . . لم تكمل أمي كلامها ، وذلك لأنها اختنقت بالدموع . تحولت اللقمة الوحيدة التي أخذت في مضغها إلى سم زعاف في أمعائي . . مستحيل أن تغيب من أمامي صورة أمي بشفتيها المرتعشتين ، وخديها اللذين تجري عليهما الدموع . لم تستطع فعل أي شيء غير ترديد: لن يأتي ، وأخذت تجثم على الأرض رويداً رويداً . أما نحن فقد احتضن احدنا رقبتها ، وأخذ الآخر بطرف ردائها وأخذنا ننظر إلى عينيها الدامعتين ))[٣٦]

ونعود إلى رواية ( ليالي تركستان ) التي دار على أرضها صراع رهيب شاركت فيه الصين وروسيا في الثلاثينيات من القرن الميلادي المنصرم وانتهى باقتسامها بين الدولتين، واستشهاد عدد كبير من أبنائها، أو هجرتهم إلى بلاد الإسلام الأخرى، أو بقائهم تحت الاحتلال[٣٧].

يقول الكيلاني - يرحمه الله - وهو يتحدث عن جهل الكثيرين في العالم الإسلامي .عما جرى لإخوانهم ، وما عانوا

---

(٣٦) السنوات الرهيبة ، ص ٢١ – ٢٢ .

(٣٧) خصائص القصة الإسلامية ، ص ٢٠٦ .

منه ولا يزالون ويتألم لهذه الحال (( كان لا بد من البحث عن صيغة جديدة جذابة مؤثرة تحفز الشباب للبحث عن أوضاع أمتهم الإسلامية المعاصرة من خلال أداء متقبل يستهويهم ويشدهم شدا، وهنا ورد استخدام القصة كأسلوب أمثل لذلك الهدف.

فتركستان مثلا جمهورية كان لها في تاريخ الإسلام وفكره وحضارته أثر ظاهر ، ثم أطبقت عليها جحافل الشيوعية في فترة زمنية قريبة وابتلعتها، و لم يكن العالم الإسلامي المتدهور في حالة تسمح له بحمايتها ، أو الدفاع عنها، أو تبني قضيتها، كان علي وأنا أكتب رواية (ليالي تركستان) أن أقرأ تاريخ تلك البلاد القديم والحديث، وأن أدرس معركتها الشرسة مع الصين الشيوعية وروسيا، بل كان لا بد أن أدرس جغرافية تلك البلاد لأعرف جبالها وأنهارها ووديانها ومصادر الثروة النباتية والحيوانية والمعدنية فيها، وكان من الضروري أن أعرف أسماء الأعلام والقادة لديهم ، ولدى عدوهم وأن ألمّ بفكرة عامة عن الأوضاع العالمية السائدة آنذاك ، وأشهر أسماء الرجال والنساء والعادات والتقاليد .

كان الأمر بالغ الصعوبة، لكن كل عقبة تهون أمام الغاية النبيلة التي أسعى إليها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، إذ لا

بد أن أبحث عن حدث مثير طويل بجزئياته المتنوعة المعبرة ، وتسلسله المنطقي المقنع، وأن أبث بين ثنايا القصة قيم الإسلام وحضارته ، وتعرضهما للصعود والهبوط ، والعوامل المؤثرة في ذلك كله حتى يمكنني القول بأن مثل هذه البلاد وأمجادها قد منعها الإسلام، وأن تجاهل المبادئ الإسلامية هو الذي أدى إلى تدهورها ، وأن نهوضها من كبوتها لن يكون إلا بالعودة إلى الدين الحنيف[٣٨].

والقصة يرويها أحد الذين شاركوا في الثورة ضد الشيوعيين وعاصروا أحداثها (مصطفى مراد حضرت)، وهي تصور انطلاق الشرارة الأولى من مدينة ( قومول ) حين أصر الحاكم الصيني على الزواج من ابنة أميرها، فرفض فأدخل السجن ..

ثم خرج بحيلة ليفجر الثورة ضد الصينيين... وتمضي المقاومة ويزداد إرهاب الشيوعيين، وينكلون بالنساء والشيوخ ويعتدون على بيوت الله، ويستعملون بعض أبناء البلاد فيجندونهم لتنفيذ مخططاتهم، كما تتحدث عن تقاسم الروس والصينيين لأرض تركستان، ومحن الثورات المتلاحقة وعن المقاومة التي ظلت مستمرة ولو بشكل فردي ضد الهيمنة

---

(٣٨) ص ٨٩- ٩٠، رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د.نجيب الكيلاني .

الشيوعية الصينية الروسية .

ويقص علينا بطل القصة أحداث اللحظات الأخيرة بعد أن سقط القائد (عثمان باتور) في يد الأعداء حيث كان الشيوعيون يجذبون أكمامه وغطاء رأسه ومعطفه ، ويداعبونه مداعبات الموت، لكنه كان صامداً يتطلع إليهم في أنفة ، أو يركلهم في ازدراء .

(( وقبل المعركة وقبل سقوط القائدد عثمان أسيراً صاح عثمان مبلغاً رسالة إلى الأمة الإسلامية .

- (( الليل يزحف على ( ماخاي ) أيها الأصدقاء ، يا من فضلتم الموت على الحياة . . الذئاب تسد مسالك الطرق يا شهداء العصر الملحد . . وأرى الرايات الحمراء قد لونت الأفق في كل يوم يسوق الجزارون خرافاً للذبح . . هم لا يفرقون بين الخراف والبشر والطريق الطويل الذي قطعناه من ماريكول أو من الجبل إلى هنا ترصفه عظام الأحرار .. وترويه دماؤكم الزكية . . أيها الأصدقاء سندخل المعركة ومن بقي منكم حياً فليحمل قصة جهادنا وعذابنا الطويل للأمم المسلمة النائمة في الجنوب وفي المشرق والمغرب العربي وفي اندونيسيا والهند وباكستان . . وقولوا لهم إن الأندلس الثانية قد سقطت في قبضة عدو الله والإنسان . .

من يدري لعل المسلمين يتيقظون في يوم من الأيام ، ويجمعون شتاتهم ، وتكون لهم معركة كبرى ينتصرون فيها لله..

قولوا للمسلمين في أطراف الأرض لا تصد قوا صحف العدو ولا تثقوا في تاريخه وفلسفته ودعوته "

ويقضي القائد عثمان وآخرون . . ويتفرق المحاربون ، ويمضي مصطفى مراد حضرت مع زوجته وابنه وهو يبحث عن أرض يهاجر إليها . قبلتُ الطفل في حنان وهمستُ بنبرات راعشة :

- لكم يحزني أن أترك شعبي المسلم السجين خلف الحدود يقتسمه الوحشان الروسي والصيني .

وهمست نجمة الليل وقد ازداد وجهها شحوبا ، واكتسى بحزن وقور لا يريم :

- إن أمنيتي أن نرحل إلى بيت الله الحرام ، ولنعش في مكة أو المدينة . .

تطلعت عبر الآفاق المعتمة ورائي وتذكرت منصور دوغا الذي مات على باب المسجد وتذكرت رفاقي المؤمنين الذين قضوا نحبهم وراء القضبان ثم الشهداء الذين سقطوا حول الجنرال عثمان باتور .. ويوم المشهد العظيم حينما ساقوا

الجنرال إلى ساحة الموت .. وغمغمت : (( سوف نسير إلى بيت الله الحرام .. إن قطرات من ماء زمزم قد ترد روح الضائعين والمتعبين إني أتخيل و أنا اصرخ في جموع الحجيج مبشرا بيوم الخلاص للمسلمين يشقون الأكفان وينطلقون تحت راية التوحيد ليحرروا من جديد ملايين العبيد ))[٣٩].

وهكذا نجد القصة الإسلامية المعاصرة تواجه الشيوعية فكرا وأنظمة وأحزابا بجرأة وواقعية فتفند ادعاءاتها بعدالة التوزيع وكفاية الناس وتعرض وجهها القبيح من خلال أتباعها الذين يبحثون عن تمكن فإذا وجدوه أذاقوا الناس ويلات و مصائب.

وتكشف ما عانته الشعوب الإسلامية تحت كابوسها المقيت اضطهادا ومصادرة للبلاد وقمعا ومحاربة للعقيدة والشريعة وقد تابعتها في شتى الأنحاء الإسلامية التي ابتليت بها كما في جزر القرم و أفغانستان في أثناء الاحتلال السوفيتي وفي تركستان المعذبة وغيرها ..

وفضحتها من خلال سلوكياتها الهمجية وهي في طريقها إلى التمكين كما في إندونيسيا والعراق خلال الستينيات ..

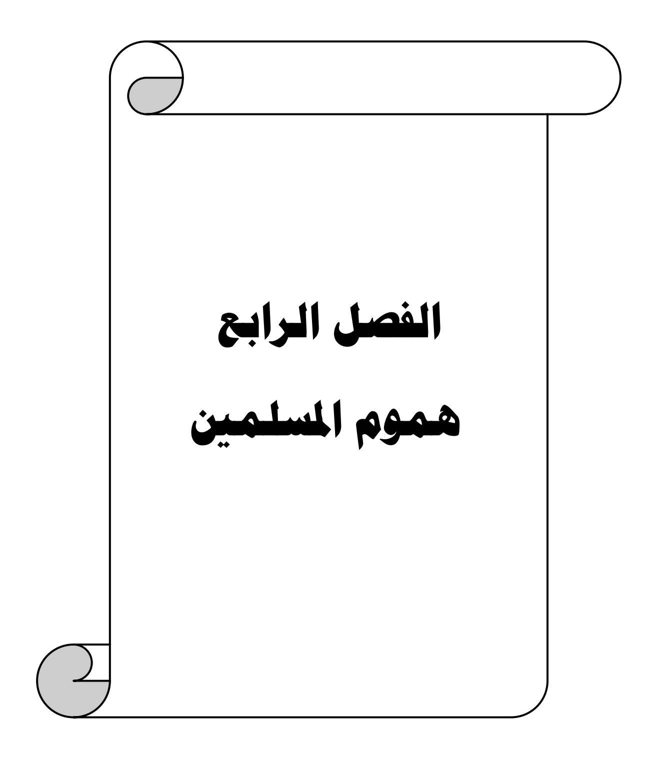
---

(٣٩) ص ١٧٢ وما بعد ـ ليالي تركستان .

وغدت وثيقة أدبية يعتمد عليها الباحثون في الكشف عن مختلف الأوضاع في هذه المجتمعات ليتبلور عنها اتجاه نحو دراسة المجتمعات المعادية و التعرف عليها عبر هذه الوثيقة[٤٠].

***

(٤٠) ص ٨ الأدب الصهيوني د . إبراهيم البحراوي .



# الفصل الرابع

# هموم المسلمين

# الفصل الرابع
# هموم المسلمين

إذا كان الشعر قد واكب الأحداث الجسيمة التي ألمت بالمسلمين فتحدث عنها ، وصور النكبات والمآسي، وعبر محن الهموم والآلام، فإن القصة على مختلف أجناسها لم تقصر في هذا الميدان ، وكان لها حضور وأي حضور ! وحلت من هموم المسلمين ما حملت تنقل منها ، وتعرف بها ، وتوضح وتحلل ، وتدفع القارئ إلى التفاعل معها، والإحساس بها ، ومعايشة وقائعها . بما تملك من تأثير ، ومن قدرة على تحليل المواقف وإبرازها ، واستخلاص النتائج ، والنظر إلى القضية من زاوية يستخلص منها القارئ العبر، ويضيف رصيداً إلى قناعاته ومواقفه ، وربما يعدل فيها ، أو يغيرها . وقد عالجت مختلف القضايا والهموم والمشكلات بإعطاء الحلول ، أو فتح طريق للحل(٤١) .

ولعل من أكبر هذه الهموم وأشدها على الإنسان المسلم هو همّ العقيدة التي تعرضت في عدد من بلدان المسلمين لخطر التشويه والتغيير . وسواء في ذلك المسلمون الذين عاشوا تحت

---

(٤١) القصص الإسلامي المعاصر (عرض و توثيق ) ، ص ٢٥ .

كابوس الشيوعية ، أم الذين يعيشون أقليات في مجتمعات تشتد على المسلمين ، وتستكثر أن يكونوا أحراراً في حياتهم واعتقادهم .

ففي قصة (الرحيل إلى باكو) من مجموعة إلى أين الرحيل؟ لعلي إسحاق شواخ، نموذج لما كان يعاني منه المسلمون في الجمهوريات التي سيطر عليها الروس، وفرضوا فيها الشيوعية والإلحاد. حتى إن اقتناء نسخة من القرآن الكريم كان يعد مخالفة يعاقب عليها القانون؟!!

ومع ذلك فإن تلك الشعوب ظلت محافظة على عقيدتها مع ما شابها تتطلع إلى يوم الخلاص ، وتترقب بزوغ فجره .

وقد أحس القاص المسلم بهذه الحقيقة ، وعايش تلك المشاعر، وفي هذه القصة الرحيل إلى باكو ( عاصمة أذربيجان) يتعرف طالب عربي كان يدرس فيها على أحد أبناء المعلمين ، ويعده أن يأتي له بنسخة من القرآن الكريم ، ولكنه لأمر ما يتأخر عن المجيء ثلاثة أشهر ، ومع ذلك فإن الأذري ينتظره في العاصمة بعيداً عن أهله! وقد أضناه الانتظار ((وما إن خرجنا من المطار حتى عاد إلى طلبه بإلحاح وقد استغربت إلحاحه، فقال : لا تستغرب فإن أهلي وعشيرتي في باكو ينتظرون وصولي على أحر من الجمر ، لقد أرسلت من يخبرهم

بشأن القرآن، ولم أعد أستطع السفر دونه ، وعدتهم به، وعيونهم معلقة إلى السماء يريدون رؤيته كاملا ))[٤٢] .

وأمام هذا الإلحاح خشي الطالب العربي أن يفتضح أمره ، ويرحّل قبل أن يكمل دراسته ، ولا سيما أنه في السنة الأخيرة (( هذا النوح من الانتظار قد يحدث ضجة كبيرة ،وفتح محاضر تحقيق وغير ذلك )) ففضل أن يعطيه له قبل سفره إلى بلده وأن يزعم له الآن بأنه نسيه ، ولم يقبل الأذري هذا العذر فعاد إلى مدينته وهو حزين ، كاسف البال... كان لا بد أن يسافر إليه ، وليكن ما يكون ((حين طرقت الباب عليه كنت أتحسس القرآن الكريم بيدي، وأتصور فرحته بالأمل الذي سعى إليه منذ معرفتي به . . كان اللقاء حاراً ، ولكن لم يكن غريباً ، وكأننا على موعد ، حدثته عن أمري ، واعتذرت إليه فقبل عذري ، ونسي أني قد أسأت إليه ، واجتمع أهله حول القرآن الكريم ، ثم صار الرجال ينقلونه من بيت إلى بيت )) .

وينقل لنا محمد المجذوب هماً آخر من مكان آخر في مجموعته ( بطل من الصعيد ) في ( قصة من بلغاريا ) التي تتحدث عن شاب آثر آن يتخلى عن وظيفته وأن يغامر بحياته

---

(٤٢) الرحيل إلى باكو ص ٥ .

وحياة والديه العجوزين وأسرته المؤلفة من زوجته وولديه الصغيرين على أن يتخلى عن دينه أو أن يغير اسمه ، وآثر محمد أن يترك العاصمة إلى منطقة جبلية تعيش فيها أقلية إسلامية تركية ليعمل في حراثة الأرض وحفر الأقنية على أن يبقى طفلاه اللذان فصلا من مدرسة الحكومة ، في رعاية جديهما يتعلمان مبادئ الإسلام ، وعدداً من سور القرآن الكريم ، وأراد عمر أن يخطو خطوة أخرى فهو إن كان لا يستطيع أن يعبر الحدود إلى تركيا فلماذا لا يجرب الاتصال بإحدى السفارات العربية في صوفيا وهكذا كان ؟! ولكن الملحق الثقافي لم يأبه له ، ولم يفهم عليه وتوسط أحد الزائرين وكان طالباً يدرس هناك وقال للملحق إنه يريد نسخة من القران . . فانتفض وقال بعصبية :

- أو تحسبنا باعة كتب ؟!

ولكن محمد ألح في لهجة رجاء موجه إلى المترجم نفسه : نحن المسلمين هنا لا نملك نسخا من القرآن ، فلو تكرمتم علينا بواحدة نتعلم قراءتها على بقية المشايخ .

وكان الجواب : وهل بقي عندكم مشايخ يفتون بهذه الأشياء ؟[٤٣] .

---

(٤٣) قصة من بلغاريا ص (٧٤) .

نهض الفتى البلغاري متثاقلا ، مكسوفاً ، يكاد يتعثر ، وقبل أن يغادر ناوله الملحق مطبوعات أنيقة ملونة وهو يقول: اقرأ هذا عن بلادنا . . وعن اشتراكيتنا المتقدمة . . وسترى أن روابطنا بكم في هذا الجانب أقوى من أي شيء آخر )) . .

ومضى عمر وتبعه الطالب العربي ، وأشار إليه أن يتبعه في حذر، وقضى محمد مع اثنين من المسلمين البلغاريين أياما سعيدة مع عدد من الطلاب العرب يتعلمون ويستزيدون من هذا الخير الذي ساقه الله إليهم . إلا أن أسفهم كان شديداً يوم علموا أن جامعة صوفيا قد فصلت هؤلاء الشباب العرب بإيعاز من ذلك الملحق إذ وجه إليه تهمة الانتماء إلى الاتجاه الإسلامي، فلم يكتمها الشيوعي المكلف بمراقبة الطلاب الأجانب ، وأعلن ذلك في اجتماع توجيهي مؤكداً أنه تلقاه في تقرير رسمي من الرفيق الملحق الثقافي بالسفارة ال... في العاصمة .

ويستعيد يوسف العظم في قصة قوقازية بعنوان (نور من المحراب) من مجموعته (يا أيها الإنسان) ما حل بشعب القوقاز في ظل الحكم الروسي القيصري ، ويترك لنا أن نقارن بين معاناتهم تلك وبين معاناتهم اليوم في جمهورية الشيشان وغيرها ، لنجد مسلسل المآسي يستمر كلما علا الباطل وانتشر في ديار المسلمين؟!

فهاهو ذا الحاج عمر المهاجر من بلاد القوقاز إلى الأردن ، تعود به الذاكرة إلى الماضي البعيد ، إلى شبابه ، إلى روابي القوقاز (( فالرجال ، رجال القرية جميعاً في القمم والهضاب يجثمون ، وبجيش البغي والعدوان يتربصون ، وهذه المزارع والعربات البطيئة في سيرها تنوء بأحمالها من الغلة والنتاج إلى كل بيت وكل أسرة مما أنعم الله ، لولا يد الظالمين تمتد بين الحين والحين تستولي على خيرات هذا الشعب المسلم لتملأ بها بطون الجند الغاصب من قوات القيصر الظالم الغشوم !

ويعود الشاب عمر إلى المنزل ليتفقد أمه وأخته فيجد الدمار الذي حل بأهله ، والتخريب الذي سيطر على محتويات البيت المنكوب ، وشقيقته تئن في المهجع المهدم ، فقد حضر جنود القيصر بعد أن خلت القرية من الرجال (( يسألون عن المجاهدين ويستفسرون عن مواقعهم ، ويكون نصيب كل ما يجدونه ركلة من حذاء ، أو رفسة من حافر ، أو ضربة من مؤخرة بندقية . . والذين قاوموا أو حاولوا الاعتراض باللسان نالوا أشد العذاب ، أو ذاقوا الموت بأسنة الحراب ))

لم يكن ذنب (( كريمات )) شقيقة عمر سوى أنها قالت لهم : حرام عليكم هذا التدمير في قريتنا ، لا تخربوا بيوتنا !![٤٤]

---

(٤٤) نور من المحراب ، ص (١٢١) .

لقد قتلوا فاطمة ابنة الحاج عثمان ، وداسوا بحوافر الخيل ميرزا بن عبد الرحمن، وها هو ذا مسجد القرية قد أصبح أطلالاً . .

تذكر الحاج عمر دموع أمه وهي تقول في حسرة ناطقة وعتاب مرير : عمر . . ألا يكفيكم عناداً؟ إنكم صامدون في وجه عدو ظالم كافر لا يرحم ، إنهم لا يتقون الله في محاربتكم لأنهم لا يعرفون الله . . وها هم بعد أن عجزوا عن حربكم وقتالكم بدأوا يشنون الحملات على القرى المطمئنة والعزل الآمنين . ها أنت ترى ما قد حل بقريتك والقرى الصامدة في وجه أعداء الله ، لقد وطئت سنابك الخيل رحاب بيت الله - لا أقول هذا لأفت في عضدكم ، ولكنه الواقع المر الذي تلمسونه ، والمؤمنات من أمهاتكم وأخواتكم صامدات معكم في معترك النضال )).

ولكنها لم تكن معركة متكافئة (( لقد أن لكم أن تهاجروا، فروا بدينكم إلى ربكم . . إن أرض الله واسعة )) .

إن التاريخ لا يعيد نفسه على أرض الشيشان وما نراه اليوم هو حلقة من حلقات الصراع الذي انطوت منه صفحتان صفحة الصراع مع القيصرية ثم الشيوعية وقد فتحت صفحة الصراع مع روسيا الصليبية و أن أبناء الحاج

محمد وأحفاده هم الذين يقاتلون ولا يجدون أرضا أوسع من بلاد القوقاز .

والمتتبع لهذا الموضوع فيما عرضته القصة الإسلامية يجد همّ العقيدة في نفوس أبناء المسلمين من اكبر الهموم وقد برز في روايات وقصص أصبحت سجلا دامياً لما تعرض له المسلمون في أوطانهم وقد استطاعت بما كان يصل من أخبار تتسلل من خلال السور الحديدي الذي أقامه الشيوعيون ، استطاعت بأن تقدم صورة صادقة عن أوضاع المسلمين وما تتعرض له عقيدتهم ويواجهه وجودهم كما أن ما عانى منه المسلمون المهاجرون وما حملوه معهم من حكايات ومآس حفظتها ذاكرتهم أصبح مسطرا في قصص يقرؤها إخوانهم في شتى أنحاء المعمورة ويعرفون محنهم ما كان غائباً أو مغيبا فترة من الزمن .

***

# الفصل الخامس

# نماذج من مآسي المسلمين (يوغسلافيا)

# الفصل الخامس
# نماذج من مآسي المسلمين
# ( يوغسلافيا )

هل استطاع الستار الحديدي الذي فرضته الشيوعية على يوغسلافيا إبان حكم تيتو أن يمنع تسرب أخبار المعلمين ومعاناتهم ؟!

وإذا كان بعض هذه الأخبار قد وصل بالفعل إلى العالم العربي والإسلامي ، فهل وقفت صداقة بعض الأنظمة فيهما آنذاك دون وصولها إلى أبناء المسلمين ، حرصاً من هذه الأنظمة على صداقة نظام تيتو يومئذ ؟

لقد وقف سيد قطب – رحمه الله - في ظلال القران عند قوله تعالى في سورة التوبة ﴿كيف و إن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة﴾ [٤٥] وقفات طويلة ، و استعرض المآسي التي تنشأ عن ظهور الشرك بأنواعه على أهل الإيمان في التاريخ البعيد والقريب ، وذكر ما يجري في يوغسلافيا فقال : (( كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها ، حتى

(٤٥) سورة التوبة : (الآية ٨ ) .

أبادت منهم مليوناً منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم ، وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي - التي من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالاً ونساء في (مفارم) اللحم التي تصنع لحوم (البولوبيف) ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء ماضية إلى الآن ؟!![46]

ويعرض محمد المجذوب في مجموعته القصصية ( بطل من الصعيد ) لهذه المعاناة في أقصوصة : (قصة من يوغسلافيا) على لسان الشيخ ( فتحي زاده ) المسلم البوشناقي الذي يروي ما أصاب المسلمين في يوغسلافيا (( تحت كابوس النكال الصليبي الذي لا تعرف مآسيه حداً تنتهي إليه ، إن القاعدة الرئيسية في نظر قادته هي أن الإسلام كله إما هو كيان دخيل على الجسم المسيحي يهدده بالتحول .

فلا ينبغي أن يفسح له أي مجال للبقاء أو التحرك في أي مكان من أوروبا على الأقل . . ومع انحسار الجيوش الألمانية التي صدّق المسلمون وعودها نتيجة للاضطهاد الذي يعيشونه، فرغ الجنود اليوغسلاف لعملية الانتقام منهم، فشنوا عليهم بقيادة تيتو وميخائيلوفتش غارات جهنمية استأصلت

---

(٤٦) في ظلال القرآن ، ص (١٦١٠ ) المجلد ط(٣) ، سورة التوبة (الآية/ ٨ ) .

شعوباً ، ودمرت قرى وجعلتها مقابر ، ويروي الشيخ فتحي ما أصاب الذين ظلوا على قيد الحياة فيقول : لقد استراح الموتى ، أما نحن فقد قضي علينا أن نشهد نهاية الإسلام في هذه الديار . . إننا نموت كل يوم دون أن يشعر بنا أحد خارج هذا السجن الكبير ))

ويُفتح أمام هؤلاء المحاصرين باباً للأمل حين يزور يوغسلافيا حاكم عربي كان من أصدقاء تيتو الخُلص!! فيعمل الشيخ فتحي مع من بقي من أهل العلم على لقائه بوساطة أحد الطلاب العرب ، حين التقى الرئيس بهؤلاء الطلاب قال له أحدهم : إن كبير شيوخ المسلمين يلتمس موعداً لمقابلة خاصة مع فخامتكم. . وأمسك الرئيس لحظة وهو مثبت بصره في وجه الفتى ، ثم قال : ليس لدينا فرصة لأي شيء خاص، ومع ذلك فقل له : إني بانتظاره هنا في تمام الساعة الرابعة بعد عصر الغد . . لمدة ربع ساعة فقط . .

وحضر الشيخ فتحي مع زميل له وبينا لفخامة الرئيس أن المسلمين سعداء برؤيته وزيارته، وكان بودهم لو يتمكنون من ترجمة مشاعرهم بهدية تليق بمقامه ، ولا هدية تفي بذلك إلا أن تكون نسخة من القرآن الكريم ، ولكن يؤسفهم أنهم لا يملكون أية نسخة من كتاب الله ، لأن ذلك محظور عليهم، فلا

سبيل للوصول إليه !!

وحين لم يجد أي علامة تشير إلى تأثر فخامته ، اضطر إلى مواصلة حديثه بصراحة أكثر فقال : إن النظام الذي يعيش في ظله مسلمو هذه البلاد يعاقب من يثبت عليه اقتناء المصحف الشريف، ويجازي بالسجن من يجرؤ على تلقين العقيدة الإسلامية ولده، أو أي مسلم آخر!! انتهت ربع الساعة وأسرع فخامته بالجواب الحاسم بأن العلاقة القائمة بين النظامين محدودة ضمن نطاق التعاون الدولي، ولا أحد يتدخل في الشؤون الداخلية للبلد الآخر، ثم نهض إيذاناً بانتهاء المقابلة وقدم لهما نسخة من القرآن الكريم ، وسجادة صلاة مغيرة عليها رسم الكعبة المشرفة، فاعتذر الشيخان بأن تسلمهما النسخة يعرضهما للسجن ، واكتفيا بالسجادة لتوضع في محراب المسجد ليتذكروا بها البيت الحرام الذي يتشوقون لرؤيته ، ولا يستطيعون إليه سبيلا .

وما كاد الشيخان والطالب العربي ينسون ذلك اللقاء الخائب حتى جاءت الأخبار بأن فخامة الرئيس قد أمر باعتقال الخمسة والأربعين مسلماً يوغسلافيا ، بقية الكتيبة التي نفرت للدفاع عن حرمة فلسطين عام ١٩٤٨م، فاستشهد أفرادها جميعا إلا هؤلاء الذين لجئوا إلى مصر بعد الهدنة التي

أطفأت شعلة الجهاد . . ثم أسلمهم هدية مفضلة إلى صديقه الحميم الذي لم يلبث أن رفعهم على أعواد المشانق ، ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالخروج عن طاعته ، والتسبيح بعظمته؟!![47]

وفي مجموعة (إلى أين الرحيل) التي تضم نماذج من مآسي المسلمين في العالم ، لعلي إسحاق شواخ ، يدخل الكاتب إلى داخل السور الحديدي في أقصوصته (حدث في سراييفو) لينقل على لسان شيخ عجوز لقيه في القطار المتجه إلى سراييفو، وقد نقلته الذكرى إلى عالم مليء بالأشجان والآلام والأحزان، ومن خلال الدموع وصوته الذي ارتفع بالنحيب تحدث عن المذبحة التي تعرضت لها أسرته : (( كان لنا كيان دائم بذاته، وكان للمسلمين في سراييفو مجلس علماء يشرف على شئون مسلمي البلاد . . وزفر زفرة أخرى ثم تابع حديثه قائلاً : لقد عانت البلاد من الويلات ما لا يعلمه إلا ا لله، وتوالت عليها المصائب والنكبات المؤلمة، وحدث أن اتفق عليها الصرب والكروات فاقتسموها بعد وفاة زعيم المسلمين في ذلك الوقت ، وحين قامت الحرب الثانية، قام الصربي المجرم (ميخائيلوفتش) فبطش بالمسلمين ، قبل أن يمد بندقيته

---

(47 ) قصة من يوغسلافيا ص 117 .

على ألماني واحد . . فقتل من المسلمين خلال عدة أيام أكثر هن مائة وخمسين ألفاً، وجا، مندوبو الصليبية ينتهزون فرصة المجازر، وحالة الذعر التي تسيطر على الناس، ويوعزون للبؤساء المساكين باعتناق المسيحية حرصاً على سلامة البقية الباقية؟!

ويمضي الشيخ وقد عصفت به الذكريات فيقول : ذبحوا أهل قريتي ، وقتل أبي قبل أن يعبر إلى الضفة الأخرى من النهر، قطعوا يديه أولاً، ثم ضربوه بحرابهم على وجهه فاقتلعوا عينيه وجدعوا أنفه، وقطعوا شفتيه وأذنيه وبتروا رسغيه ، وأكملوا على قدميه ، ثم ضحكوا ملياً من أمي التي وقعت مغشياً عليها ، سحبوها وألقوها فوقه، وأطلقوا عليها الرصاص، ومجموعة أخرى من المجرمين، أخرجت أختي من الغرفة المطلة على النهر، وهما تصرخان وتبكيان من الأعمال القذرة التي ارتكبها بحقهما هؤلاء القتلة ، وكانت الصغرى سريعة فانطلقت كسهم مشدود إلى وتر قوي، وانتزعت بندقية من أحد القتلة، ولكنها قبل أن تضع يدها على الزناد سقطت جثة هامدة، قتلوها، وانطلقوا ككلاب مسعورة فضربوا أخي المشدود بوثاقه إلى شجرة حور طويلة عدة طلقات نارية فأردوه قتيلاً ! ! .

كان من المفروض أن يكون راوي القصة معهم في حينها ، لولا أن أباه أرسله في أمر، فعاد لتوه ، وتسمر مكانه قرب شجرة توت يرقب ما يفعلون . . لقد مضت سنوات طويلة ولكنها لم تستطع أن تمحو من ذاكرة الشيخ العجوز تلك المشاهد المرعبة المخزنة ، لقد ارتسمت من جديد على ماء عينيه اللتين اغرورقتا بالدموع وزفراته المحرقة المتوالية (( كان الشيخ بحاجة إلى السكوت ، إلى الراحة فقد تغيرت سحنته، وكف عن الكلام ، وراح قلبه المضطرب يسكن فجأة ! وكف عن الاضطراب ، وقليلاً قليلا راحت الأنفاس اللاهثة تهدأ، بل كادت أن تنقطع ،وأغمض عينيه ، ورفع بيديه النحيلتين .. وخيم سكون غريب . كل ما حولنا توقف عن الحركة حتى أوراق الشجرة التي كنا نجلس تحتها توقف عن السقوط [٤٨]

ويستمر مسلسل الجرائم ويحصد المسلمون من المآسي اليوم في ظل التعصب والتطرف الصليبي الصربي مثل ما حصدوا بالأمس في ظل التسلط الشيوعي وتبرز موضوعات كثيرة يلونها دم الأبرياء تنتظر أقلام المبدعين من روائيين قاصين أن يظهر وها للقارئ المسلم ؛ ولكن على الرغم من مرور أكثر من عقد من الزمن لم تجد الساحة الأدبية سوى

---

(٤٨) حدث في سراييفو ص ٤٨ .

أقاصيص طبعت في مجموعات لا تتعدى أصابع اليدين .

ولم نجد بعد الروايات أو القصة الطويلة التي تتحدث عن مأساة التهجير والذبح الذي سمي بالتطهير العرقي أو الاستهانة بتراث المسلمين والمقابر الجماعية كما في كوسوفا وسراييفو وغيرها من مدن المسلمين وهي موضوعات تنتظر من يبرزها بالأسلوب الروائي فإنه خير من يجعل هذه القصية وأمثالها حية بعد أن جفت الدماء في الجروح الغائرة .

***

# الفصل السادس

# صور من حياة الدعوة والداعية

# الفصل السادس

# صور من حياة الدعوة والداعية

قلنا إن الشعر قد سبق القصة في الحديث عن الدعوة والدفاع عنها، والرد على خصومها، والانتصار للدعاة، وتمجيد صدقهم وثباتهم فذلك لأن الفن الشعري أقدم من الفن القصصي في أدبنا ولا سيما المعاصر منه ، وقد أتيح للشعر بحالات في القول والتعبير ما لم يتح للقصة !

إلا أن الفن القصصي الملتزم ، وإن جاء متأخرا لم يقصر في هذا المجال ، وقد أفرد روايات وقصصاً ومجموعات قصصية كانت من الكثرة ، بحيث تعوض كثيراً من هذا السبق . وقد برز في هذا الميدان كثير من المجلين ونستعرض في هذه العجالة بعض أسمائهم وأعمالهم ، وما يخص منها الدعوة والدعاة من مثل : رحلة إلى الله – ليالي السهاد – عمالقة الشمال – الظل الأسود (لنجيب الكيلاني) – قصص دماء و أشلاء – الألغام المتفجرة – بطل إلى النار (لمحمد المجذوب)، وما جاء في : سلة الرهان – ولهان والمتفرسون حادثة في شارع الحرية (لإبراهيم عاصي) وإنهم لا يطرقون الأبواب – المرفأ (لمحمود مفلح)، وأسماء كثيرة لقصص وكتاب برزت في العقدين

الأخيرين من القرن الماضي.

فمن مجموعة الألغام المتفجرة للمجذوب تحدثنا أقصوصة ( بين مشهدين ) عن الداعية الذي يجب ألا ييئس، فلعل لحظة تمر في حياة المدعوين نفتح فيها مغاليق قلوبهم؟! فهذا أبو سعيد يتردد عندما يزور العاصمة في زيارة شقيقته التي انجرفت مع التيار الوافد ، ولولا صلة الرحم لانقطع عنها ، فلطالما نصحها ((كم مرة ذكرتك بحقوق دينك وتوجيهات أبويك، كم مرة حذرتك صداقة هؤلاء المستهترات وتبادل الزيارات معهن)) وتحتج الشقيقة بأنها تعيش في العاصمة (( فلها أوضاعها التي تختلف كثيراً عما في بلدنا الصغير الساذج . . . لو نقلت سكنك إلى هنا لرأيت أنك مضطر لمثل هذا التطور الذي مرنا إليه ، وينصرف وفي نيته ألا يعود ثانية إلى هذا البيت ، وينقطع عن زيارة أخته لمدة عامين ، ثم يكتب له أن يلتقي بصهره في العاصمة ، فيعاتبه على انقطاعه عنهم ، و يصحبه إلى المنزل ، لأول مرة يقع بصره فيه على امرأة وابنتها وقد أحاط وجهيهما خمار رصاصي اللون ، من تحته جلباب سابغ يمس ظاهر القدمين ، لقد فاجأه هذا المنظر ، وكانت المفاجأة أكبر حين علم أنها إحدى صديقات شقيقته وقد تحولت إلى امرأة فاضلة صالحة ، قد آثرت فيها

ابنتها الملتزمة . . . وفتحت الطريق لشقيقته التي أجابت وهو يذكرها بضرورة العودة إلى الله : سترى وقد آن الأوان . . [٤٩]

وتستوقفنا مجموعة ( سلة الرمان ) لإبراهيم عاصي عند أقصوصة بعنوان ( خيوط الفجر ) لنشهد ما تفعله الداعية في مجتمعها من تغيير وما تحمل في قلبها من حب ورأفة للشاردات ، وهي تدعو إلى الله ، وتبشر بمغفرته لعباده التائبين . . فترسم لنا هذه الأقصوصة خطين مختلفين لسلوكين مختلفين فقد كانت ( فاتنة ) ترى في زميلتها (علياء) مجرد فتاة مسكينة ، انقلبت حياتها بسرعة ، (( لقد تسممت أفكارها بشكل مخيف . . . لقد أطالت ثيابها فأصبح منظرها مؤذياً . . . وشعرها مخبوء تحت منديل سميك يستحيل على الناظر أن يرى منه شعرة واحدة )) إنها دفنت شبابها وهي في ريعان الشباب ، وقضت على نفسها بالموت وهي على قيد الحياة . . . وقهقهت فاتنة وهي تتبادل الحديث مع فتيات من شلتها بمناسبة عيد ميلادها ، وتابعت سرد فلسفتها في الحياة من خلال التجريح بشخصية زميلتها علياء (( لقد استهوتها العبادة . . لا مسرح . . لا نوادي . . لا حفلات مختلطة . . إنه التحجر والجمود ؟!! إنه التنازل عن الحرية الشخصية . . إنه . . إنه . . إننا يجب أن

---

(٤٩) الألغام المتفجرة ، ص ١٥٨ .

تتمتع بالحياة وبالمتعة وبالحرية ... وتفرق الأيام بينهما ، وقضي كل منهما في سبيلها ، ثم تجمع بينهما الأقدار ! فاتنة مريضة شحب لونها ، وذوى شبابها حتى بدت أكبر من عمرها بكثير ، يشق على من يعرفها من قبل أن يتعرف عليها الآن ، و (علياء) طبيبة تحمل مع الدواء الكلمة الطيبة تداوي بها النفوس... وتتعرف عليها فاتنة ! إن اسمك وصورتك لم يبرحا خاطري منذ أصابني المرض قبل ثلاث سنين ، ولا أدري ما السبب؟! أما علياء التي خشعت من رهبة الموقف فقد انتفضت وهي لا تصدق لتقول : مستحيل .. مستحيل! فاتنة زميلتي أصغر! أنضر . . . وقصت كل منهما قصتها، وأحست فاتنة بعاقبة تقصيرها وشرودها ، وكانت كلمات علياء ولمساتها الحانية تخفف عنها من آلامها[٥٠] النفسية والجسدية ، وهي التي أكلت لحمها من قبل ((لا تجزعي يا فاتنة، لا تقنطي من رحمة الله ، لا تستسلمي لليأس، فقد يكتب الله لك الشفاء وقد يكون ذلك منه ابتلاء . . لا تجزعي يا أختاه.. استسلمي إلى قضاء الله .. واصبري .. فالصبر جميل)) لقد فتحت لها كلمات علياء في تلك اللحظات أبواب الأمل، وهي تتلو على مسامعها قول الله تعالى:﴿ قل يا عبادي الذين

(٥٠) سلة الرمان ص ١١٥

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾[51] . وبقدرة عجيبة استوت فاتنة على سريرها فجأة ، ورفعت إلى السماء يدين مرتجفتين ضارعتين!!!

وأما أقصوصة (( طريق الشيطان )) لعبد الله الطنطاوي من مجموعة ( ذرية بعضها من بعض ) تصور حياة الذين يزعمون أنهم يستطيعون العيش من خلال ازدواجية بين الفكر والسلوك والمواءمة بينهما ، وهم يحسبون أنهم مؤمنون؟!! ((لقد كانا صديقين يجمعهما طريق واحد ، وهدف مشترك ، ولكن أحمد تغيرت بيئته وظروف حياته فتغير معها ، وحاول أن يبرر لصديقه (( بأن الجو هنا يختلف عن جميع الأجواء .. لن ترى من يصلي معك ولن ترى من يرفع صوته ليشق سكون الأسحار بهتاف : الله أكبر)) وحاول أن يجر صديقه من خلال الجو الجديد إلى سلوك جديد يقوده إلى الهاوية بحجة مسايرة الواقع فهو يشرب الخمر ويفعل المنكرات ، وأنها بزعمه لن تؤثر على قناعاته ((وغداً ستراني أقلع عن هذه الأفعال الذميمة ، وسأحاربها بما أوتيت من قوة)) ودار الزمان دورته ، ومضى كل في طريق ، ويعيش الصديق الناصح على الذكريات (( وكان يوم . . وبينما كنت مستغرقا في تأمل الحياة

---

(٥١) من سورة الزمر – آية ٥٣ .

من خلال هذه الطبيعة الجميلة . . إذا يد رقيقة تربت على كتفي بلطف ، فانتبهت وإذا أحمد . . ليقول : كنت أخدع نفسي . . كنت مجرماً في حق نفسي . . وكان الشيطان يتراجع فيه تحت وطأة دموع الندامة على ما فعل . . أحسست أن عودة الرجل إلى حظيرة الإيمان والعمل بمقتضاه قاب قوسين أو أدنى، وعرفت أنه سيكون قوياً بي إن أنا وقفت إلى جانبه ، فعزمت عل شد أزره . . كانت دموع التوبة تغسل أدران نفسه وهو يقول : اللهم اشهد . . .[٥٢]

لقد كانت دعوته أغلى عنده من صداقة احمد فآثرها عليه وحاول إن يشده إليها وهو يتفلت من بين يديه فتركه لا زهدا به ، ولكن على أمل عودته إلى الطريق المستقيم فترك أبوابه مفتوحة عسى أن يعود . . . و ها قد عاد . . فربح جانب الحق واحدا كان في صفه بعد أن تاه عن الطريق .

إن أمثال هذه القصص المستقاة من واقع الدعاة تعطي زادا للعاملين وتحثهم على الصبر ومتطلبات الطريق وهي توضح لهم من خلال ما يعانيه من يقوم بشأن الدعوة إلى الله كيف يكون الصبر على الآخرين وكيف يعامَل الشاردون ؟

---

(٥٢) ذرية بعضها من بعض ص ٤٨ .

فهم لا يحتاجون إلى وعظ المؤنب الذي يطل عليهم من برجه ولكنهم في حاجة إلى شفقة الداعية الذي يؤلمه ما هم فيه والذي يسعى إلى ردهم إلى طريق الحق والجنة وقد كان لأمثال هذه القصص أثر واضح في إزالة الغبش عن عيون كثير من المفتونين وقد فتحت لهم باب الأمل وأبصروا من خلالها نورا تلمسه غيرهم من شخصيات هذه القصص فأخرجهم من الظلمات .

وفي أمثال هذه القصص لنا في الأدب النبوي أسوة حسنة وقد أحسن عدد من الروائيين في استلهام ما عرضه الحديث الشريف فصاغوا قصصا جميلة مؤثرة و أبدعوا روايات تنافس كثيراً من الأدب العالمي كما فعل القاص داود سليمان العبيدي في قصة (( جبل التوبة )) و (( القرار )) و (( فتاة الجزيرة )) و (( ثلاثة في الغار )) مستلهما الحديث النبوي في طريقة من طرق الدعوة إلى الله .

***

# الفصل السابع

# المآسي الإجتماعية في الطبقات الفقيرة

# (المرض والحاجة)

# الفصل السابع

# المآسي الاجتماعية في الطبقات الفقيرة

# ( المرض والحاجة)

ما أنزل الله من داء إلا وجعل له دواء ، والإنسان المسلم مأمور باتخاذ الأسباب ليبقى جسمه سليماً ، فيؤدي ما عليه من الواجبات ويتفاعل مع الحياة من خلال وظيفته التي خلق من أجلها . . فالمؤمن القوي خير وأحب إلى ا لله من المؤمن الضعيف ، وإن كان في كليهما الخير

ولكن هل يجد كل مريض ما يخلصه من مرضه ، ويكون سبباً ليبرئه من علته ؟

قد يوجد الدواء ، ولكن لا يتوفر المال !!

ويوجد الطبيب والمستشفى ، ولا تتهيأ للفقير أجرة الطبيب ونفقات المستشفى !

وقد يخير الإنسان بين الطعام والداوء ، فيؤجل الدواء ليطعم أفواهاً جائعة ؟!

وهذا ما عرضت له القصة الإسلامية في دفاعها عن الجماهير الفقيرة والحديث عن معاناتها ، فمن مآسي المريض

الفقير أنه يلجأ إلى المشعوذين حين لا يجد الطبيب الموظف، ولا يملك المال اللازم للمداواة في العيادات الخاصة .

ففي أقصوصة (( الصحة للجميع )) لإبراهيم العاصي تصوير لهذا الوضع[٥٣] حيث يضطر المرضى إلى الاعتماد على أحد المشعوذين ليلتمسوا الطب والشفاء؟! لأن الطبيب المخصص للناحية لم يحضر هذا الأسبوع، وهم لا يجدون لديهم مالاً للذهاب إلى طبيب خاص.. ويدور الحوار التالي بين أحد المعترضين (الواعين ) وبين أب أحضر طفله الصغير الذي يعاني من الحمى، إلى باب المستوصف حث يقف بجواره المسمى (( بمحفوظ ))

– إن التميمة التي أخذناها هي الطب ، وهي الدواء والشفاء .

– إني أجزم لك بأن التميمة لا تعد كونها خربشات ورسوماً مخيفة ، وليس فيها كلمة واحدة من كلام الله ، افتحها إذا شئت ، واطلب مني ما تريد غرامة إن لم تصدق ظني في شيخكم محفوظ !

---

(٥٣) الصحة للجميع من مجموعة "ولهان و المفترسون" ، ص (٧٥) .

ويضيق الأب الذي يرى طفله يتلوى بين يدي أمه ، يضيق ذرعاً بهذا المعترض ، ويبين له لماذا يلجأ هو وأمثاله إلى محفوظ وغيره .

- تريد أن تنصحني؟ جزاك الله الخير . . ولكن اسمع: الطب على رأسي وعيني . . ولدي الوحيد هذا وقع في المرض منذ ستة أيام ومنذ ذاك اليوم ونحن - أنا وأمه - نصبر أنفسنا ونعللها .بمجيء يوم السبت ، اليوم الوحيد في الأسبوع الذي يحضر فيه الطبيب إلى مستوصف الناحية ساعتين من الزمان.. وأخيراً جاء يوم السبت وها نحن حضرنا . . حضرنا منذ الصباح.. البرد قارس شديد كما ترى! في الساعة الثامنة لم يحضر الطبيب ، وفي التاسعة ، وفي العاشرة ، و الثانية عشرة والواحدة لم يحضر . . ومن نصف ساعة فقط قال لنا الممرض بأن الطبيب لن يأتي اليوم ، يعي لن يأتي في هذا الأسبوع ، ثم أمرنا بالانصراف فانصرفنا.. وأظنك تفهم الضرورة والحاجة التي جاءت بي وبهؤلاء الخلق كلهم إلى هنا ، وجعلتنا ننتظر طيلة هذه الأيام والساعات؟ بارك الله في الشيخ محفوظ إنه لا يتأخر أبداً ولا يغيب . . ))

ومع ذلك فقد كان باب المستوصف مفتوحاً، وتصدرت الصالة لوحة تقول " لكل مواطن حقه في الغذاء، وحقه في

الدواء ، والصحة للجميع" ؟! !

وقد يتاح للمريض أن ينتقل إلى المدينة الكبيرة المجاورة بوسيلة من وسائل النقل التي تناسب الحال ؟! في أقصوصة (( في الطريق إلى العملية )) لمحمود مفلح[٥٤] يعالج مثل هذه الحالة ، ولكن ماذا تكون النتيجة ؟!

– من الأفضل أن تسمع رأي الطبيب أو الممرض على الأقل ( قال لعمه وهما يغذان السير باتجاه المستوصف، والحمار الذي يحمل الرجل العجوز ينقل خطواته بتراخ، وأصوات حشرات الليل تزداد حدة )

– الطبيب . . الممرض . . الممرض . . الطبيب! وأين نأتي بالطبيب الآن أو من ينقلنا إلى المدينة وليس في القرية كلها سوى ( دابة ) مرعي الذي لا يخجل من أن يدعوها سيارة !! مرعي أعرفه – يا خالد – أخبث من اليهود . . مائة ليرة الآن لا تزحزحه من الفراش.. أموت مائة مرة ولا أدفع مائة ليرة.. لأني لا أملكها ؟!

ويصلون إلى الطبيب ، ولكن هل تنتهي المعاناة ؟ (( في الصباح كان عمي أول مريض يعرض على طبيب المدينة الذي

(٥٤) في الطريق إلى العملية من مجموعة "القارب" ص ٦٠ .

لم يتمالك أن رفع حاجبيه دهشة حينها رآه ، ولهذا فقد كتب ((وضعه خطير يستوجب إجراء عملية جراحية في جناح البولية في مستشفى المعافاة )) . وأشفع الطبيب تقريره بورقة طلب فيها المساعدة والعطف على المريض باعتباره فلاحاً فقيرا يقيم في قرية نائية . . ))

ويصل العجوز إلى مستشفى المعافاة أو المعاناة ليفاجئه مسؤول مكتب الدخول :

- آسف ، ليس عندنا سرير شاغر .

- ولكن هذا بأمر الطبيب المختص ( يقول ابن أخيه المرافق ) .

- إنه مختص بالفحص والمعاينة ، وليس بإدخال المرضى إلى الأجنحة ، هذه مهمتي . .

- لكن المريض يموت... حالته تستدعي عملية جراحية فوراً. . . لا فائدة من الجدال ، لن يشغر سرير قبل أسبوع.. تهالكتُ على أقرب مقعد في غرفة الانتظار، أحسست أن عقلي توقف ، وأن كل خلية في كياني تغادر مكانها.. أمسكت بالصحيفة الملقاة أمامي، قرأت عناوينها الكبيرة دون مبالاة : (( إنجاز أكبر صالة للفنون الشعبية بتكلفة قدرها أربعة

ملايين ليرة بشرى لعشاق السباحة في الشتاء )) . .

وليتهم افتتحوا مستوصفاً للأمراض الشعبية مخصصاً للطبقات الشعبية التي ساهمت في بناء الصالة بما تدفعه من ضرائب ليتمتع غيرها بالرقص والسباحة الدافئة في فصل الشتاء ؟!!

وفي أقصوصة (( زجاجة الدواء العفن )) ليوسف العظم[55] تنتصر عاطفة الأبوة على الموقف المبدئي ، فالولد مجبنة مبخلة . . . وهو قد عاش يؤمن بشرف الكلمة وبدورها في بناء الحياة النظيفة ، قانعاً بما لديه من رزق ، يُعرض عليه الكتابة في صحيفة متدنية المستوى فيرفض بإصرار ، لأنها لا تتناسب مع توجهه النظيف . . ذات مساء كاد إلى بيته ليجد صغيره في الفراش ، حمله إلى طبيب صديق ، ورجاه أن يكون رحيماً بجيب صاحبه وألا يختار الدواء الغالي لأن الوضع لا يحتمل . . . ازدادت حالة الصغير سوءاً فاضطر لأن يكتب له دواء مرتفع الثمن . . مضى بالوصفة ففوجئ أنه لا يملك منها (أربعة دنانير) اختطف الورقة من يد الصيدلي، ومضى كالمجنون إلى منزله ، فتح أوراقا وأخذ مقالاً هادفا بناءً عن

(٥٥) زجاجة الدواء العفن من مجموعة يا أيها الإنسان ، ص (٣١) .

الشخصية الإنسانية ، وذهب إلى مقر الصحيفة التي كان قد رفض التعامل معها من قبل!! ودفع بالمقال . . ابتسم المسؤول ابتسامة صفراء وناوله أربعة دنانير ، وأشار إلى تصميم مخطط لصفحة كانت بين يديه ، وبجانب عنوان مثير لموضوع جنسي رخيص ،خط الرجل بقلمه : هنا مقال الأستاذ الكبير... وأطلقها ضحكة مجنونة عصفت بكيان الأب المسكين... تناول الدواء ومضى إلى البيت فوجد الطفل الصغير قد مات... مضى عشرون عاماً وهو مصر على الاحتفاظ بزجاجة دواء عفن... لأنها أصبحت جزءاً من تاريخه؟!

وهناك صنف من الناس يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف عالجت القصة الإسلامية مشكلاتهم، ودخلت إلى أعماق معاناة حياتهم اليومية، وأبرزت ما فيها من أسى، لا يعلم به كثير من الناس وهم صغار الكسبة والموظفين!! ففي أقصوصة ((ليلة العيد)) لإبراهيم عاصي[٥٦] لا يقف الفقر وضيق ذات اليد وحدهما في وجه العامل البسيط، وإنما ينضاف إليهما قسوة القوانين التي تشل حركته . فحتى في ليلة العيد التي يفترض أنها ليلة فرح وسعادة لا يجد هذا

---

(٥٦) ليلة العيد من مجموعة "سلسلة الرمان" ص ٩١ .

العامل المجال مفتوحا أمامه للعمل الشريف ، وتحصيل لقمة العيش ، لأن الشرطي يأتي فيصادر الميزان ويدفع العربة ويمنعه من البيع؟!

ولا تبعد عن هذا كثيراً أقصوصة (( ماسح الأحذية)) لحيدر قفة(٥٧) فهي تعرض ما يصادفه الرجل البسيط من مضايقات بإسم النظام؟! فعلى الرغم من أن مسح الأحذية لم يعد تلك المهنة التي تسد الرمق وتستر الحال بعد ظهور الجلد اللماع ، فقد كان قانعاً بها لعل الأمور تتحسن ، ومع ذلك " شرطي حانق يأتي من بعيد يصرخ . . يقترب منه في عصبية ، يضرب الصندوق بحذائه ، ينفتح الصندوق... يتقيأ ما في داخله على الرصيف .

- قم من هنا . . لا تجلس هنا . .

. . . . . تعقد المفاجأة لسان الرجل العجوز . .

يبتلع ريقه يتساءل !

- لماذا ؟ ماذا فعلت ؟!

- هل معك رخصة مزاولة مهنة ؟

- رخصة ماذا ؟

(٥٧) ماسح الأحذية من مجموعة "هناك طريقة أخرى" ، ص(٧٥) .

- يا ال البعيد . . رخصة مزاولة المهنة ، أما سمعت بأمر تنظيم مزاولة المهنة ؟! لازم لك رخصة . . إذا رأيتك هنا ثانية كسرت الصندوق على رأسك . .

ويعرض يوسف العظم في أقصوصة (( وعادت قوارب الصيد))[٥٨] مأساة قطاع آخر من هؤلاء البسطاء، فيتحدث عن جشع المتعهدين واستغلالهم لأتعاب الصيادين، وحب هؤلاء للعمل مع أنه يكلفهم حياتهم، أو أجزاء من أجسامهم!!

(( تقدم الطبيب من الرجل المسجي على الشاطئ الرملي الناعم ، وهو يتطلع في حسرة وأسى ، ثم رفع رأسه نحوي، وهمس في أذني بحرارة : مسكين. . فقد البصر، وخسر اليدين..

ومضى في عملية الإسعاف التقليدية يضمد الجراح، ويجفف الدم ، ثم نهض وقال للغلام الذي راح يطوف بالطبيب ، ويحوم حول والده ، كمن أصابه مس ، أو حل به جنون ! اطمئن ، أبوك سيعيش ، لم يصب إلا بخدوش بسيطة لا تلبث أن تبرأ في وقت قصير !

وثب الفتى نحو الطبيب يطلب المزيد من الطمأنينة له، والصحة والعافية لأبيه ! وساعداه . . يا دكتور . . وعيناه ؟؟

---

(٥٨) وعادت قوارب الصيد من مجموعة يا أيها الإنسان ص ٩١ .

وبحسرة وألم مريرين قال الطبيب : عوضكم على الله في ذلك ! احملوه إلى منزله علّه يجد بعض الراحة مما أصابه . . ))

وقص رفاقه ما حصل لهم ، فقد انفجر الديناميت في كفيّ زميلهم . . وعلّق الخواجا الذي كان ينتظر الصيد ! تصوروا لم يعد هذه المرة إلا ببضعة أرطال من السمك لا يكفي ثمنها لإطعام بنيه أيام قليلة )) ، وماذا يأكلون في ما بعد؟؟ )).

ولعل فقد (( أبي قدور )) لسلته في أقصوصة ((سلة الرمان )) لإبراهيم عاصي[٥٩] ليست أقل آلما وفجيعة من فقد الصياد ليده وعينه في أقصوصة يوسف العظم ، فأبو قدور من عام إلى عام يمني نفسه بما يجود عليه الثري الذي يحمل إليه سلة الرمان ، ففي هذه المرة أخذت الخادمة السلة ، وأعادتها إليه فارغة فالسيد ليس موجودا ، وأبو قدور لا يستطيع المبيت في المدينة لأنه لا يعرف أحداً ! ولكن حلاقاً فارغاً من الزبائن ناداه وأجلسه على الكرسي ، ورحب به ، وحدّث أبو قدور نفسه لائما لها فها هو ذا أحد أبناء الحلال يجبر خاطره . . وحين هم بالمسير مد الحلاق يده. . ولم يكن أجرة الحلاقة سوى السلة الفارغة لأن أبا قدور لا يملك شيئاً . . وعاد ماشياً على قدميه يلتمس طريق القرية؟! ! وهكذا وجدنا أن القصة الإسلامية

---

(٥٩) سلة الرمان من مجموعة سلة الرمان ص ٣٧ .

وهي تعالج مشكلة المرض والحاجة في صفوف الفقراء لا تغفل عن تبصيرهم .عما يفعل المشعوذون،وتنشر في صفوف قرائها الوعي المستند إلى الأدلة الشرعية في إبطال علاج المشعوذين وكتاباتهم كما توضح العوامل التي تدفع هؤلاء البسطاء إلى سلوك هذا الطريق من قلة ذات اليد وجهل بالطب و بالشرع وتقاعس بعض عن وكل إليهم أمر معالجتهم.

ووجدنا القصص الإسلامي أيضا يتبنى قضايا الفقراء والمعوزين لا بالتباكي عليهم و الدعوة إلى إنصافهم وإغاثتهم ولكن بتصوير معاناتهم وأسبابها كما في ( ليلة العيد ) و( ماسح الأحذية) و( عادت قوارب الصيد) و(سلة الرمان) .

والمؤمل من القصة الإسلامية ألا تقف عند ذلك فحسب بل تتجاوزه إلى عرض معالجة الإسلام لهذه الآفات التي تفتك بالمجتمع المسلم لتقول لكل المعذبين إن الإسلام هو طريق النجاح والسعادة .

إن هناك موضوعات كثيرة تنتظر من يعالجها في هذا المضمار فليس كل القراء من هواة قراءة الفكر وما أجمل أن تتحول الأفكار والحقائق إلى أعمال روائية تبرز عظمة هذا الدين وطريقته في حل المشكلات .

***

# الفصل الثامن

# المآسي الإجتماعية في الطبقات الفقيرة

# (الفقر والجوع)

# الفصل الثامن
# المآسي الاجتماعية في الطبقات الفقيرة
# ( الفقر والجوع )

كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الفقر، فيقول : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر[٦٠] . ونقل أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول : لو كان الفقر رجلا لقتلته .

وإذا كان الشعراء قد صاغوا القصائد التي تمسح دموع الفقراء ، وتصور حالة البؤس التي تحيط بهم ، فإن الفن القصصي دخل إلى تلك المجتمعات البائسة التي تئن من الفقر مصوراً ومحللاً ومبيناً عواقب الفقر لا على الفقراء وحدهم، ولكن على الذين يعيشون وقد اتخموا وجيرانهم إلى جوارهم جائعون وهم يعلمون . . ومع أن الجوع الذي استعاذ منه رسولنا[٦١] ﷺ وسماه بئس الضجيع ليس هو المأساة الوحيدة في حياة الفقراء ، ولكنه يبقى الصورة الأكثر وضوحاً ، فمنه

---

(٦٠) " اللهم إني أعوذ بك من الفقر " جزء من حديث رواه النسائي .

(٦١) " اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع " رواه النسائي وأبوداود وابن ماجه .

يتولد المرض والضعف..

وقد عالج محمد المجذوب في أقصوصته (( الجوع كافر ))[٦٢] ما يعاني الفقراء في أثناء الحروب ، حيث يضطر الناس إلى أكل لحم الميتة ، ولحوم الحيوانات التي لا تؤكل ؟ وربما أكل بعضهم بعضاً ؟!! (( وحدق الغلام ببصره ملياً تجاه المكان المقصود ، فإذا بجثمان حمار قد باشر الانتفاخ فعلم مصدر الشواء ، وسرعان ما فقه الرغبة التي راودته أول الأمر . .

قال الأب: هناك يا بني ما هو أشد هولاً، وأبعث على الألم.

وتساءل الغلام: وهل من شيء أسوأ من لحم الحمار الميت؟!

- أجل يا بني : لقد أكل الناس أولادهم ، وأكل الأبناء أمهاتهم .

وردد الجميع في غير وعي : أولادهم ؟ أمهاتهم؟

وقص الأب كيف أكل الفتى القروي أمه ، وكيف برر فعلته أمام رئيس المخفر ، وهو يقرعه : أكلتها لأنها أرادت أن تأكلني . وسرد عليه ما حصل لها بعد أن باعا كل شيء يملكانه ، ثم أويا إلى مغارة . . .

---

(٦٢) أقصوصة الجوع الكافر من مجموعة "بطل من الصعيد" ، ص ٥٠ .

ولم يجد رئيس المخفر بداً من إطلاق سراحه ، متهماً إياه بالجنون حتى لا يضطر إلى سجنه ، ومن ثم إطعامه ، وحتى لا تتسلل أكداس القمل التي يحملها إلى أجسام السجناء ، ورجال المخفر!!

ويعرض المجذوب صوراً أخرى للفقر الذي تسببه الحروب ، في نماذج متعددة من حياة الفقراء كما في أقصوصته (( صورة ممزقة ))[٦٣] فالحاج قدور أقدم على سرقة القضامة (الحمص) من أحد الدكاكين فكان جزاؤه أن أركب على حماره بالمقلوب وطافوا به في أزقة المدينة وهي صورة مازال المؤلف يذكرها بعد أكثر من ستين عاماً .

ولكنها ليست الصورة المؤسسة الوحيدة !

(( بالأمس جاء الجاويش ومعه عدد من الجنود ، وعلى الرغم من غياب والدي في الجندية ، لم يرضوا إلا أن يقتحموا علينا ليأخذوا معظم مؤونتنا من الدقيق والحبوب )) .

أليست هذه سرقة ، وأكبر من سرقة الحاج قدور؟! ليسد جوعه ، فأوسعوه ضربا وأخذوها منه ! !

وتنتشر أطياف الذكرى في ذاكرة القاص فيعرضها على ما

---

(٦٣) أقصوصة صور ممزقة من مجموعة "الألغام المتفجرة" ، ص(١١٣) .

فيها من أسىً وألم .

ها هي ذي خديجة المرأة المسكينة تحمل سلة وسكيناً عتيقة تبحث عن بعض الأعشاب البرية عند مجاري المياه التي تسقي حقول الفاكهة " نساء ممزقات الأردية يغلين ماء البحر ليحصلن على بعض الملح يطبخون به بعض الأعشاب البرية... أكلوا الجيف ينهشون في نهم لحومها القذرة المنتنة...

خاطفو الأرغفة عن رؤوس الأطفال وهم عائدون من الأفران... الصغار المنتفخو البطون، يطرقون الأبواب مرددين الكلمة الوحيدة التي يعرفونها : من مال الله يا أهل الخير...!!

والحق أن المال مال الله ، وقد ضنَّ به عباد الله على عباد الله!! وإنها لصور ، وأي صور ؟! سواء أكانت ممزَّقة أم ممزِّقة ولكنها صادقة في نقلها ، تنقل من الواقع ،وأي واقع . يتهم فيه باللصوصية الجائع الذي يمد يده إلى لقمة يسد بها جوعه؟! وبسيف القانون تنتهك حرمة البيوت، وتصادر بل تسرق أقوات الآمنين؟!!

وإذا كانت هذه المآسي قد وقعت في الحرب العالمية الأولى في بلاد الشام فإن الحرب العالمية الثانية لم تكن أرحم ، ففي رواية (( الطريق الطويل )) للدكتور نجيب الكيلاني تصوير لما

حل بالأسر المستورة أمام ضغط الحاجة، وضيق الحال فالشيخ حافظ الرجل المتزن الذي يهمه أمر وطنه وما سيؤول إليه أمر الحرب ، وانعكاس ذلك على بلده يتابع الأخبار، ويناقش ويحلل ، ويحتمل لذع كلمات زوجته يضطر إلى إرسال ابنته ((بسيمة)) لتعمل لدى إحدى الأسر الثرية في الإسكندرية، ثم يقرع مغادرة القرية خوفا من شماتة الشامتين.

.. ويقع ما لم يكن في الحسبان إذ يقود الفقر بسيمة الساذجة إلى فقدان شرفها على يد الثري الذي وعدها بالزواج ... ثم تركها ... فتجن وتدخل مستشفى المجانين ... ويظن أهلها أنها ماتت في الغارات التي تعرضت لها الإسكندرية ، ولكنهم يكتشفون أمرها ،فتنتهي حياتها تحت عجلات القطار. .[٦٤] وليست الحرب التي يجري فيها الدمار ، وتزهق الأرواح هي السبب في تلك المآسي دائماً ، ولكن هناك حروب يضرمها المرابون والمحتكرون، وهي لا تقل إيلاماً فهناك تنزف الدماء بالربا والاحتكار... فتعرض الرواية صورة مؤلمة أخرى للطفل المريض سليمان الذي لا تجد أسرته لديها قرشين يركب بهما يومياً إلى المدرسة في البلدة المجاورة إلا بصعوبة،

---

(٦٤) الطريق الطويل ، د.نجيب الكيلاني - رواية – بيروت ١٩٧٧ م مؤسسة الرسالة .

تتعرض هذه الأسرة لهزة عنيفة تجعل والد سليمان يفقد أراضيه شيئاً فشيئاً نتيجة تعامله مع أحد المرابين . . وفي مثل هذه الأحوال سواء أكان سبب الفقر الحروب أم لم يكن فإن أكثر الضحايا هم من الأطفال الذين يدفع بهم أهلهم للعمل في بيوت الأغنياء فلا يجدون كلمة طيبة يتصدقون بها عليهم ، ولا قلباً رحيماً يظلل براءة الطفولة الغضة الطرية . . فبسيمة – في رواية الكيلاني – ليست آخر الضحايا ، ففي أقصوصة ((مشاعر طفلة )) لحيدر قفة نجد ابنة التاسعة وقد دفعت بها أمها للعمل في المدينة لدى أسرة ثرية لقاء دراهم معدودة، تتعرض لأقسى أنواع المعاملة لتلقى نهاية ليست أفضل من نهاية بسيمة!! ومرت الأيام والخادمة الطفلة تجر الأيام جراً... إذا دخلت بكت تذكرت أمها عند كل ألم . . عنه ما وخزتها سيدتها بالإبرة في يدها لأنها وجدتها تلعب في دمية بنت سيدتها ... وخزتها بالإبرة ... بكت ... استعطفت ... قطعت الأيمان والوعود ألا تشعر مرة ثانية .بمشاعر الطفلة... قالت لامها في خيالها : أموت يا أمي في اليوم سبعين مرة ... لا تستطيع ألا تشعر بمشاعر الطفلة . .

الجسد الغض يتراجع شيئاً فشيئاً . . . ! !

في صباح أحد الأيام وجدها في ركنها الموحش في المطبخ

جثة . .! ! ماتت ... بالاختناق ماتت ... تسرب الغاز من الموقد لعطل فني لم تنتبه له السيدة ... ودفنت الطفلة...!![٦٥]

وأما في قصة (( أبو دومة والحرامية )) لحسن دوح فإن الصبي الصعيدي اليتيم الذي لم يتمكن من دخول المدرسة يأبى أن تذهب أخته لتعمل في منزل أحد المتنفذين بالقاهرة ، فيفتديها بنفسه طالما أن ليس هناك مفر من العمل ، ولكنه وهو الصبي لم يستطع أن يصبر على تطاول سيدة البيت ، فيتركها ليلتحق بخدمة ابن العمدة[٦٦] ... ترى أكان هذا الصبي يخشى على أخته مصيراً كمصير بسيمة... وفي أحسن الأحوال كمصير ابنة التاسعة .

وهذه المآسي ليست وقفاً على الصغار دون الكبار فمآسي الخادمات الصغيرات . . . وإن كانت أشد إحزاناً ، وأشد إيلاماً فالأمهات قد تضطر مع شدة الفقر ، وعدم وجود من يكفي بيتها وأطفالها إلى أن تترك صغارها لتخدم صغار الآخرين ، وفي أكثر الأحيان يرتبط الذل مع كل لقمة خبز ، والهوان مع كل درهم تتناوله ! ولكن ما العمل؟؟

---

(٦٥) مشاعر طفلة من مجموعة " هناك طريقة أخرى " ص (٧).

(٦٦) أبو دومة والحرامية - حسن دوح - دار الأنصار بالقاهره ، ط ١ - ١٩٨٢ م .

في أقصوصة (( مجنونة )) لمحمد المجذوب[٦٧] نموذج لهذا الصنف البائس (( لم تتعود قط الخدمة لغير أهلها من قبل ، وكان الناس من أبناء قريتها مُجمعين على اعتبار عمل المرأة في بيوت الآخرين بالأجرة شيئا حقيراً مهما بلغت الحاجة! ولكنها لو أطاعت عادات قومها لعرضت نفسها وبنيها وأهلها لحرمان لا يطيقونه ، فقد كان عليها بعد وفاة زوجها أن تعيل ثلاثة أبناء ، أكبرهم مقعد منذ أربعة عشر عاماً ، وصبية في الثالثة عشر ، وصغيرة في الحادية عشرة ، وأمها العجوز ، وأختها التي ترملت مثلها قبل عامين ...

أما لماذا وصفت بالمجنونة ، وهي امرأة مكافحة مبتلاة فلأنها لم تطق العيش في ظل أسرة المحامي أبو أنطون ، وقد صعقها أن المحافظ وهو مسلم يفطر في رمضان ، ويشرب الخمر ، فتصفعه بكلمات تستلها من كنانة الحق ، ويُحرج أهل المنزل ، ويحاولون إيهام المحافظ أنها مجنونة ! غير أن هذا لم يمنع سيادته أن يكون في أعماقه على أتم القناعة بأن فاطمة هي العاقلة الوحيدة في ذلك البيت )) ...

ويصور حيدر قفة في أقصوصة (( إلا الكرامة ))[٦٨] ما

---

(٦٧) أقصوصة مجنونة من مجموعة "بطل من الصعيد " ص ١٠٤ .

(٦٨) أقصوصة "إلا الكرامة " من مجموعة هناك طريقة أخرى ، ص (١١٩).

تعاني الخادمات حتى ولو كن كبيرات من إرهاق جسدي وأذى نفسي في بيوت الذين لم يسمعوا بحديث الرسول ﷺ ((خولكم إخوانكم)) داعياً إلى إطعامهم مما يأكلون، وإلباسهم مما يلبسون وحاضاً على تسميتهم بفتاي وفتاتي بدلاً من عبدي وأمتي ، وإذا كلفوا فوق طاقتهم أن يعانوا . . .

إن الفقر لا يكون دائماً صنو المذلة ، فالفقير إنسان ألجأته الظروف إلى أن يضغط على أعصابه ، ويحتمل بسبب الحاجة ، وليس معنى هذا أنه لا يحس بإنسانية ، ولا يشعر بكرامة .

فهذه عائشة تدفن شبابها في خدمة أسرة متغطرسة ، تظن الخدم من طينة أخرى غير طينة البشر (( عندما وطئت قدماها هذا المنزل منذ تسعة أشهر قادمة من بلدها ، أعطتها سيدتها محاضرة في شغل البيت ... تنبيهات ... توجيهات ... قائمة طويلة من الممنوعات ليست سهلة الحف ... لا بد من تجاوزات ومخالفات ، ولا بد أن يعاد المتجاوز إلى صوابه، وصوابه لا يعود بغير قذائف الكلمات وطعنات العيون الساخطة ..

نسيت أنها قدمت من بلدها وهي تحلم بحياة أفضل، نسيت أنها تحمل شهادة متوسطة . . . قاتل الله الفقر ، يمحو كل ميزة ، لون أسود يطمس كل الألوان )) .

وعندما تختلف مع سيدتها لخطأ ليس من صنعها تفاجئها

سيدة البيت بالشتائم ، وتتبع ذلك بصفعة على خدها أحرقت الصبر في قلبها، الشرر يتطاير من عينيها.. شيء من الداخل يكبلها، وهي تردد في نفسها: الفقر ... الذل ... الفقر ... الإهانة ... الفقر ... الكرامة ... الفقر الكرامة ... الكرامة ... الكرامة ..

ثم تتركها وتمضي فتأخذ صرة ثيابها وقد خلعت الثوب الذي امتلأ وحلاً وذلاً . . . لبست غيره وخرجت )) . . .

ناداها سيدها الذي عاد من توها فلم ترد ، كانت السيدة تمسك بالهاتف لتخبر الشرطة أن عائشة قد هربت منذ الفجر من المنزل وسرقت المال والحلي ، وأن زوجها خرج يبحث عنها؟!!! وإذا كانت عائشة المسكينة قد خلعت ثوب الذل حفاظاً على كرامتها ، فإنها ظلت مرتدية ثوب الفقر .

ولم تضن سيدتها عليها بثوب جديد فألبستها ثوب اللصوصية ، وخرجت ولم تعد . . . . . . .

إن كتاب القصة الإسلامية وهم يعالجون مشكلة الفقر والجوع استوقفتهم الحالة الإنسانية غير المقبولة التي يعيشها هؤلاء المساكين نتيجة لظروف خارجة عن إرادتهم ، وليس لهم فيها يد ، وأن الفقر لم يستطع أن يمحو الكرامة من نفوسهم كما محا السعادة من قلوبهم سواء في ذلك الرجال أم النساء .

ويلاحظ أيضا أنه مع نجاح كثير من هذه الأقاصيص في

تصوير عذابات هؤلاء الفقراء ، والتأثير في القارئ إلا أنها لم تسبر أغوار المأساة إلا من خلال ذكر بعض الأسباب !

كما أنها لم تبرز الموقف العملي للمتعاطفين مع هذه الطبقات فبقي الأمر محصوراً بين ظالم ومظلوم ، وغاب عن القضية موقف الأخذ على يد الظالم سواء أكان فرداً أم جماعة أم ظرفا قهرياً .

ويبقى على هؤلاء القصاصين أن يظهروا لقرائهم كيف عالج الإسلام مشكلة الفقر لا من خلال العرض الفكري والمعالجة النظرية والحلول المعدة ، ولكن من خلال واقع الحياة العملي بإلباس هذه المعالجة النظرية ثوب العمل الروائي في أحداثه وشخصياته . .

وكذلك بعرض حالات من التاريخ الإسلامي كما في فترة الخليفة عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما، إذ كاد الفقر أن يستأصل من الحياة كما ذكر ذلك الدكتور يوسف القرضاوي في ( مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ) و الدكتور عمادالدين خليل في (ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ) .

***

# الفصل التاسع

# فلسطين في القصة الإسلامية المعاصرة

# الفصل التاسع
# فلسطين في القصة الإسلامية المعاصرة

إذا كانت قضية فلسطين قد أخذت حيزا واسعا في الشعر الإسلامي المعاصر الذي تابع أحداثها وصور مأساتها ودعا إلى الجهاد وحرض على الاستشهاد دونها بحيث أصبح ما قيل يشكل مجاميع كبيرة رصدت واقع المأساة والمستجدات والمتغيرات أولاً بأول فإن ذلك يعود إلى طبيعة الشعر فما ينطلق بعفوية بعد أن تقذف به القريحة التي تتعرض للمحرضات المستمرة والدافعة إلى القول وهذا يختلف عن طبيعة الفن القصصي الذي يحتاج إلى شيء من الروية والمعالجة ولا يمكن في أكثر الأحوال أن يكون استجابة آنية تستطيع مواكبة الشعر إلا أن هذا لا يعني أن هذا الفن قد قصر ولكن طبيعته - كما أسلفنا - تأبى الانقياد للتحريض المباشر ولذا أصبحت الأولوية في ساحة القول للشعر وحده ؟!

ولكن هل قصرت القصة الإسلامية بأنواعها في تصوير الواقع ومتابعة الحدث والدعوة إلى المواجهة ؟؟

لقد استطاعت القصة الإسلامية أن تضع القضية في

إطارها التاريخي الواسع بدءاً بالمواجهة مع اليهود في أول الدعوة الإسلامية وانتهاء بالمواجهة التي تجري اليوم على أرض الإسراء وموطن الأنبياء مع رؤية مستقبلية لما سيؤول إليه الصراع و تسجيل لما عليه المقاومة في هذا الظرف العصيب فنحن – وكما هو معلوم – لا نواجه قوما لا نعرفهم أو ليس بيننا وبينهم عداء تاريخي عقدي ! إن رواية ( نور الله ) لنجيب الكيلاني تصور الصراع الدامي الذي خاضته الدعوة الإسلامية إبان ظهورها ببساطتها وسماحتها وقوة بيانها في مواجهة اليهودية بدهائها وتاريخها ممثلة في كعب بن الأشرف و حيي بن الأخطب يعضدهم فريق من المشركين و فريق من المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبي والرواية كذلك تشير إلى سماحة الإسلام مع خصومه وتنتهي بفتح مكة إذ خضعت رؤوس العناد فيها أمام رسول الله الذي توجه إليهم قائلا : اذهبوا فأنتم الطلقاء !!

وأما عبد الحميد جودة السحار فقد رجع إلى أبعد من ذلك كما في مجموعته (قصص من الكتب المقدسة ) فتحدث في أقصوصة (استير) عن استخدام اليهود للمرأة كي يصلوا إلى غاياتهم وفي ( سالومي ) عن دورها في تنفيذ العدوان على

حياة الأنبياء ؟! [٦٩] وليس ذلك غريبا عنهم فقد حاولت المرأة اليهودية قتل النبي ﷺ بوضع السم له في شاة قدمتها له؟!

وفي (دم لفطير صهيون) لنجيب الكيلاني تتوضح جرائم اليهود بحق الإنسانية وهي الجرائم التي واكبت التاريخ فلم تتوقف في أي فترة من فتراته ولعل كتاب (اليهود وذبائحهم من بني الإنسان) الذي استعرض هذه الجرائم تاريخياً يبقى وثيقة إدانة لا تستطيع اليهود التنصل منها أو إنكارها وهي ثابتة تاريخيا منتشرة في أصقاع الأرض حيثما حل اليهود و أقاموا عنها يقول الدكتور نجيب الكيلاني في كتابه (تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية )[٧٠] القصة الوثائقية لون خاص من الفن القصصي إذ أنها تعتمد أساسا على وثائق مثبتة والوقائع في حد ذاتها مادة تكاد تكون علمية وجافة على الرغم من أنها ربما تكون مثيرة ومؤثرة لكنها تفتقر بالتأكيد إلى عناصر القصة الفنية ويضيف : كنت مؤمنا أن حربنا مع اليهود حرب دامية طويلة وأنها متنوعة الأسلحة ومن الأسلحة الفعالة في هذا العصر: القصة والأدب بل الفن بصفة خاصة ولا شك أن القارئ سيشعر عقب قراءة القصة

---

(٦٩) دليل مكتبة الأسرة المسلمة ص ٤٥٢- ٤٥٣ .

(٧٠) تجربتي الشخصية في القصة الإسلامية ص٥٥ و ما بعدها ..

بالسخط والكراهية والغضب لما يفعله اليهود بغيرهم وملخصها : أن مجموعة من اليهود أقدموا على ذبح القسيس البادري توما مع خادمه إبراهيم عمار للحصول على دم مسيحي لاستعماله في الفطير المقدس الذي يعده اليهود في أعيادهم ، والقصة تصور الحقد اليهودي متمثلا في أشخاص الحاخامات الذين اشرفوا مباشرة على الذبح وتمت العملية بإشرافهم وتخطيطهم كما تتحدث عن انكشاف أمرهم ودخولهم السجن إبان حكم محمد علي باشا لمصر وسيطرته على الشام ، كما تتحدث عن التدخل اليهودي العالمي لستر هذه الفضيحة التي اطلعت عليها قناصل الدول في دمشق .

وتخطو بنا القصة الإسلامية سنوات فنقف في (مشرد بلا خطيئة ) للدكتور محمد عبده يماني مع أسرة فلسطينية تسكن في عين كارم تجاورها أسرة يهودية مهاجرة هي أسرة حاييم التي لم تظهر أي عداء حتى وقعت نكبة (١٩٤٨م) انكشفت خفايا ( حاييم ) الذي لم يكن اقل عداوة من رجال العصابات فقضى أبو إبراهيم ورحلت أسرته إلى القدس ثم إلى عمان وامتدت يد حاييم لتنهب كل ما تركه الجار النازح . . . . ويكبر إبراهيم وتشاء الأقدار أن يقع يوري ابن حاييم في الأسر بعد معركة الكرامة ويستدل على إبراهيم بواسطة وشم في يده ويحاول أن

يستعطفه مذكرا بماضي الطفولة ويقترب منه وهو يستل سكينا يخبئها تحت إبطه ليطعن بها إبراهيم الذي عاجله بطلقات ترديه قتيلا و لم يستطع الغدر اليهودي الذي استغل التسامح العربي أن ينجح في هذه المرة؟!

وتلاحق القصة الإسلامية شتى المنحنيات التي تمر بها القضية الفلسطينية ففي أقصوصة (الأرض)(٧١) لمحمود مفلح من مجموعته (القارب) تصوير لإصرار الفلسطينيين على تحرير الأرض ولو بشكل فردي مهما كلف ذلك من تضحيات. وتوضح أقصوصة (الفستان والرصاص)(٧٢) هذا التوجه إذ ينخرط الكبار والصغار والرجال والنساء في المقاومة ويجدون أنها الطريق الصحيح الذي يقود إلى التحرير مع عظم التضحيات وشدة المعاناة فهذا مجاهد فلسطيني تتحرك عاطفة الأبوة في حناياه ويحلم أن يتيسر له شراء ثوب جديد لابنته ويتحقق الحلم ويعود إليها فرحا ولكن فرحته تكبر أكثر حين يفاجأ بأنها انخرطت مع خالها في العمل الجهادي وأصبحت تحمل مسدسا تدفع فيه عن نفسها لترد عنها وعن قومها أنياب الذئاب البشرية المتربصة الشرهة إلى القتل والدماء وينقل

---

(٧١) أقصوصة الأرض ص ٣٥ .

(٧٢) أقصوصة الفستان والرصاص ص ٣٧ .

محمد جاد البنا في أقصوصة أخرى عنوانها (المخيم والبحر)[٧٣] صورة أخرى فيحدثنا عن الشيخ أمين الذي يعيش في مدينته الساحلية ويهاجم مع عدد من شباب المدينة قوات الاحتلال الأمر الذي أذهل المعتدين ولم يستطيعوا أن يعرفوا الذي يكيل لهم الصاع صاعين ولكن استشهاد الشيخ مع مجموعة من شباب المدينة يكشف السر الذي طالما أعيا المحتلين وفي نفس الاتجاه ينقل محمد السيد في أقصوصة (العودة)[٧٤] من مجموعته (شاطئ الرؤى الخضر) معاناة مهاجر فلسطيني ترك أبناءه وزوجه وذهب ليعمل مع ابنه الأكبر في بيروت وفي أثناء العودة وعند أحد الحواجز تمتد يد الإجرام فتنهب ما كسبه الأب وتقتل ابنه فلا يجد الأب المفجوع بداً من العودة إلى الثأر بعد أن وصل إلى مشارف قريته ويكاد القاص الفلسطيني محمد السيد لا يترك شريحة من شرائح المجتمع الفلسطيني إلا ويصور بطولاتها ومقاومتها ومعاناتها ففي (خط اللقاء)[٧٥] يلتقي مع العامل العربي الذي يعمل في مصفاة حيفا في مرحلة من مراحل الصراع العربي اليهودي على أرض فلسطين وفي

---

(٧٣) أقصوصة المخيم والبحر ص ٦١ .

(٧٤) أقصوصة العودة ص ٢٥ .

(٧٥) أقصوصة خط اللقاء ص ٤١ .

أقصوصة (العملاق)[٧٦] يتحدث عن بطولة طفل فلسطيني استطاع أن ينقذ رجلا بعد مذبحة قام بها اليهود معرضا حياته للخطر و كأنه يستشف أستار المستقبل في دور يقوم به أطفال فلسطين وفتيانها ؟! !

وأما أقصوصة ( رحلة مع الموت )[٧٧] فتصور الشوق إلى الوطن بعد أن طال الانتظار وكيف أن هذا الشوق يدفع بصاحبه إلى الموت أحيانا وهذا ما حدث لفلسطيني يعيش في قرية قريبة من حدود فلسطين المحتلة يهيئ نفسه للعودة لكن أمله يخيب فتقتاده دورية إسرائيلية.

ومع وجود كل هذه البطولات والتضحيات والمعاناة فإن (أبو كليب )[٧٨] يمثل نموذجا للمتساقطين الذين لا يكاد يخلو منهم مجتمع يكشفون ستر قومهم و يكونون عينا للعدو طمعا في مال أو جاه أو ضنا بأنفسهم عن مواطن الفداء وظنا أن العدو الذي سيطر ببطشه يحميهم فيرتبط بقاؤهم ببقائه ولكن (أبوكليب) الذي خان قومه وأصبح جاسوسا عليهم يكون أول المتضررين حيث يهجم جنود العدو على قريته فيقتلون ابنه! .

(٧٦) أقصوصة العملاق ص ٦١ .

(٧٧) أقصوصة رحلة مع الموت ص(٨٥) .

(٧٨) ابو كليب ص ٣٥ من (شاطئ الرؤى الخضر) .

ومع تدفق الدماء واشتداد عود الانتفاضة كانت القصة الإسلامية تواكب الأحداث حتى كأنه أصبح لكل حدث قصة أو قصص فقد كتب عبدالله الطنطاوي عشر قصص في عشرة كتب يرويها عن ألسنة الذين شاهدوه[٧٩] فكان منها (منصور لم يمت -القدس لا تؤمن بالدموع -السياج - ذبيح القدس – رحلة إلى جبل النار _ و غيرها) وهذه القصص كما يقول الناقد محمد حسن بريغش ليست خيالا من خيالات الأدباء وإنما هي تسجيل بالكلمة الأدبية المبدعة لوقائع الجهاد المشرف لأطفال الحجارة ولهذا نرى أسماء المدن والقرى و الأحياء والمستوطنات و أسماء العرب واليهود تتكرر فيها وتعطيها البعد الإنسان الراسخ المرتبط بالأرض المقدسة الذي استعصى رغم تآمر العالم مع اليهود على التغيير وفقدان أصالته وحقيقته ولون أرضه ورائحة زيتونه وليمونه وبرتقاله وقداسته و أنها تحي في نفوس الشباب الذكريات الماجدة وتثبت في ذاكرتهم هذه الأسماء لمدنهم وقراهم وأحيائهم وأبطالهم وأعدائهم حتى لا تمحى بفعل التضليل والتزوير والإلهاء لقد أصبح أطفال الحجارة عنوانا لجهاد أبناء فلسطين وجيل المستقبل ضد الاحتلال اليهودي وتأتي مجموعة ( عندما

---

(٧٩) سلسلة أطفال الحجارة (١-  ١٠) .

تتكلم الدماء )[٨٠] وكأنها تسجيل آني لما يجري على أرض فلسطين من وقائع الجهاد في الأرض المباركة وكانت عناوين أقاصيصها تحمل إيحاءات ودلالات على الوقائع التي تحملها الأحداث من مثل : لن يعيشوا بسلام - حيث يقف الشاب حمدان وهو ينظر إلى شذاذ الآفاق القادمين إل الأرض المحتلة وهو يضغط على أسنانه ويضم كفيه بعصبية : يسرقون أرضنا ويستبيحون قريتنا ونقف هكذا نتفرج ؟! يجب أن نفعل شيئا يجب أن نتحرك ،وأقصوصة (لا يقهرون)[٨١] وهي تصور بطولات الشباب المجاهد الذي يزرع الخوف في قلوب المعتدين و(الهدية )[٨٢] تتحدث عن مشاعر سجين مجاهد وأما (عذاب وعذاب)[٨٣] فتلتقي مع أقصوصة محمد السيد المسماة (أبو كليب) في تصويرها لنهاية أحد المتعاملين مع العدو في كشف خطط المجاهدين و الدلالة عليهم فينتهي كالخرقة البالية بعد أن نبذه اليهود وتبرأ منه أبناء جلدته . .

وهكذا تتوالى أقاصيص هذه المجموعة كل أقصوصة تصور حدثا : (مأساة في منتصف الليل - المهندس يحيى عياش

---

(٨٠) لعبدالناصرمحمد مغنم .

(٨١) أقصوصة لا يقهرون ص ١٢ .

(٨٢) أقصوصة الهدية ص ١٩ .

(٨٣) أقصوصة عذاب وعذاب ص ٢٦ .

- قتلوا الرضيع -أقسى من الحجر - مسح العار - رد الكتائب) حتى ليخال قارئ هذه المجموعة حين تقع عيناه على عناوين أقاصيصها أنه يعرف هذه الوقائع لأنه رأى مثلها أو سمع عنها و إذا هي بطولات جديدة فلكل بطولة لون ولكل تضحية طعم وقد برز فيها جانب التمسك بالعقيدة وحب الجهاد ومعاني الفضيلة والبذل والإيثار والترابط والأخوة والإقدام والثبات والعزيمة والإصرار على مواصلة الجهاد ورفض كل أنواع الاستسلام [٨٤]

ويسابق فوزي صالح في روايته (كنوز قارون) الزمن ليثبت للذين يظنون خيرا بيهود أنهم مخطئون فيمزج الواقع بالتاريخ ويوظفه ليبين مدى عداء اليهود وخستهم وأنهم لا عهد لهم ولا ذمة وان مستقبل معاهدات السلام معهم هو النقض وعدم الوفاء لأنهم نشئوا على الغدر و قد سبرت الرواية أغوار المستقبل بما يحمله من صراع فكري وسياسي واجتماعي من خلال رؤية صادقة تعتمد على حقائق العلم وثوابت الحياة وتجارب التاريخ ..

ومما يحمد للفن القصي - أنه عاش مع القضية ولم يتعاطف معها فقط فهو يسير مع مواكب شهدائها ويتلون بدماء ضحاياها .

---

(٨٤) مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٢٠٧ .

وقد شارك غيره من فنون الأدب فظهرت روايات وقصص اقتصرت في معالجتها على القضية الفلسطينية أو أحد جوانبها وعادت بها إلى خفايا اليهود وغدرهم وحقدهم على بني الإنسان من غيرهم . وقد وجدنا هذا متمثلا في قتلهم الأنبياء كما صورته قصص (عبدالحميد جودة السحار) وفي عداوتهم للإسلام منذ بزوغه كما في (نور الله) لنجيب الكيلاني وفي خستهم ولؤمهم وتآمرهم على الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها كما أبرزته قصة (مشرد بلا خطيئة) لمحمد عبده يماني و(كنوز قارون) لفوزي صالح وهناك عشرات الأقاصيص في عدد كبير من المجاميع القصصية عالجت جوانب معينة بقدر ما تستطيع الأقصوصة معالجته ...

كما وجدنا في مجموعة محمد السيد (شاطئ الرؤى الخضر) وقصصه في المجموعة المشتركة (خط اللقاء) ومحمد جاد البنا (الفستان والرصاص) ومحمود مفلح (القارب) وعبد الناصر محمد مغنم (عندما تتكلم الدماء) وحفلت المكتبة القصصية الإسلامية بعشرات أخر منذ أن برز الغدر الصهيوني على أرض فلسطين وحتى يومنا هذا . . . .

***

# الفصل العاشر

# صور من مشكلات الأسرة

# الفصل العاشر
# صور من مشكلات الأسرة

يقوم المجتمع المسلم على دعائم البيوت المسلمة التي تربي أفرادها التربية السليمة ، وبالقدر الذي يكون التواصل قائماً بين هذه الوحدات الثلاث ( الفرد - الأسرة - المجتمع ) يكون الترابط ، وتشتد الأواصر، ويسعد الجميع !!

ولكن يبقى البيت هو المحضن الأساس لإعداد الأفراد، وتقديمهم للمجتمع ، ويبقى دور الأسرة في هذه المنظومة دوراً بارزاً .

ولذا وجب الاهتمام بها ، والحرص على إقامتها ، والدعوة إلى تقوية الروابط بين أفرادها ؛ وهو أمر فطري تنهض به الحياة وتستمر وما رأيناه من سقوط في النظام الشيوعي وتدهور العلاقات بين أفراده كان من أعظم أسبابه محاولته تحطيم الأسرة وبعثرة أفرادها وتوهين العلاقة فيما بينهم ؟!

وما نجده من تفكك في العلاقات وبروز الظواهر الشاذة وتهديد استمرارية الأمن الاجتماعي في كثير من بلاد الغرب يعود إلى الانهيار في الأسر وعدم تمكنها من القيام بدورها المطلوب؟!

وقد انعكس ذلك على البيت المسلم بنسب تختلف باختلاف التأثر ومدى التقليد ولسبب آخر هو البعد عن المنهج الإسلامي في تكوين الفرد والأسرة والمجتمع

ومما يحمد للقصة الإسلامية المعاصرة أنها عالجت هذه الظواهر و أبرزت أثر هذه السلبيات التي تغلغلت في مجتمعات المسلمين محذرة منها وداعية إلى رفضها ومظهرة المعاناة والنتائج التي تترتب عليها ومن أمثلة ذلك معالجتها لمبدأ القوامة فقد جعل الله تعالى القوامة في البيت للرجل فماذا يحدث عندما تكون شخصية الرجل غائبة ولم تحقق هذه القوامة ؟

كانت قصة (إصلاح) لعزيزة الإبراشي من أوائل القصص التي أشارت بوضوح إلى نتائج هذا الخلل ففي هذه القصة تسيطر الأم على مقاليد الأمور فيسير الأبناء كما تريد لهم وتبدو شخصية الأب ضعيفة ومترددة .. فتنحدر الأسرة إلى مهاوي الاختلاط وتظهر نتائجه في سلوك الأم التي تتخذ من الجمعيات النسائية شعارا لذلك وتزوج ابنتها من أحد مرتادي ما يسمى بالحفلات الخيرية فينفق أمواله على إحداهن ويستمر انحرافه لأن الأم لم تحسن الاختيار في زواج ابنتها ويكتشف الجميع عند وفاة تلك الأم أن اثنين من أبنائها غير

شرعيين وأنهما لا يستحقان الميراث وتمر الأسرة في دوامة تكاد تذهب ببقايا الروابط بين الأخوة ومع شدة المباشرة أحيانا وغلبة الوقع المعاش على الواقعية الفنية استطاعت القصة أن تنقل لنا معاناة بعض الأسر وتبرر الخلل في حياتها نتيجة لبعدها عن الإسلام وتعاليمه وآدابه وفي قصة (أختاه أيتها الأمل ) لأحمد بدوي صور أخرى لأسر ينعكس واقعها على سلوك أبنائها وتصرفاتهم!

فالطالبة نور مثلاً يترك لها أهلها الحرية الكاملة في خروجها بالمظهر الذي تريد ، زاعمين أن ذلك لا يوثر على سمعتها وسلامتها ؟! ولولا أن الله تعالى قيض لها في الجامعة بعض الصديقات المهتديات فتأثرت بهن لكان لها شأن آخر ولحصدت ما حصدت رولا التي أغمضت عينيها عن كل نصيحة فإذا هي تقع في شرك ما صنعت يداها ؟!

وأما ( ماجدة ) التي تسلك طريق الهداية فإنها على الرغم من المعارضة الشديدة من أبيها تنجح أخيرا في كسب أمها إلى جانبها وتؤثران في الأب الذي أفاق قبل فوات الأوان ! وفي المجموعة القصصية ( ميلاد جديد) لحنان لحام في قصصها الأربع ( أوهن البيوت - بيت العنكبوت - طوبى للغرباء - ذات الدين ) تتناول الكاتبة الحياة العائلية فتعالج في قصة

(أوهن البيوت)[85] قضية التساهل في اختيار الزوجة فالشاب سالم متدين ذو خلق ينساق مع رغبة والدته في الزواج من ذات المال والجمال فيقترن بها آملاً في إصلاحها ولكنها وكما قالت الأم لإحدى صديقاتها الزائرات لا تفارق ألمذياع وتحب الغناء والرقص وتقضي معظم نهارها في الشرفة تتحدث مع بنت الجيران....لا تعرف حقوق البيت والزوج ولا تعرف الحلال من الحرام ؟! ويحاول سالم أن يغير من طباعها حدثها عن الصلاة كثيرا ولكنها لا تصلي إلا أمامه ؟ حدثها عن الحجاب وجاءها بخمار فنفرت ورفضت أن تلبسه وتشبثت برأيها فحرمها من الخروج من البيت ما دامت بدون حجاب فاحتج أهلها بأنه يحبسها في البيت ويحرمها من متاع الحياة ...وتصبّر الأم نفسها لعل هذه الزوجة تتحسن بعد الإنجاب وينفد احتمالها فطلقها ؟ كانت تشتمه وتلعن الحياة معه ؟إ وتتهمه بالبخل لأنه لا يصحبها إلى الحفلات و لا يشبع نهمها إلى الملابس و المجوهرات و كان الحصاد المر شاباً تحطم غارقاً في الديون والهموم وطفلاً بريئاً وفتاة أخفقت في زواجها لتخرج منه مطلقة معقدة وآلاماً تجرعتها الأسرتان ؟؟؟! إنها بعض ثمار البيت الذي لم يقم على التقوى و أما قصة( بيت

(٨٥) أقصوصة أوهن البيوت ص ٨ .

العنكبوت)[٨٦] فتبرز الوجه الآخر لهذه القضية حيث يخطئ بعض الآباء في ربط بناتهم بأزواج غير صالحين طمعا بالحسب والمنصب فتكون النتيجة تحطيم الأسرة وهدم دعائم البيت و أما قصة ( طوبى للغرباء ) فتصور حياة فتاة مؤمنة تعيش في أسرة متفلتة فتلتزم بالإسلام وتعاني من المتاعب والمضايقات ولكنها تنتصر على هذا الواقع وتفرض وجودها !!

وتجمع قصة ( ذات الدين )[٨٧] تلك الحالات في إطار واحد من خلال أسرتين تعيشان حياتين متناقضتين أسرة جمال الضائعة الشاردة الغارقة في التقليد وأسرة (صالح) الملتزمة الهانئة ويحمد صالح الله تعالى وهو يستمع إلى زوجته عن موقفها مع أمه إذ تقول إنها أم زوجي الغالي الذي ربته وتعبت عليه ولهذا أحبها وارغب في برها فيهتف في حرارة أنت لست كالأخريات - يا هناء - أنت ذات الدين التي أوصى رسول الله بالبحث عنها والحرص عليها وقد بحثت عنها وظفرت بها ومن خلال ما استعرضناه من قصص نجد للأسرة الدور الحميد في توجيه وفي صياغة الأفراد صياغة سليمة كما نجد الأفراد الذين يحولون سيرالأسرة والبيت إن خيرا فخير وإن

---

(٨٦) أقصوصة بيت العنكبوت ص ٢٦ .

(٨٧) أقصوصة ذات الدين ص ٦٠ .

شرا فشر ونجد أن الروائيين لم يكونوا يعتسفون الأحداث ويخترعون الوقائع أو ينطقون شخصياتهم كما يريدون أو يقفون منهم موقف الواعظ المؤنب .

صحيح أنهم صوروا السلوكيات المخزية وكان منهجهم في ذلك الأدب القرآني والنبوي في ذكر أو وصف هذه الانحدارات!

لقد وقفوا منهم موقف المشفق الذي يعرض مآسيهم ومشكلاتهم ليجعل منها للآخرين عبرة وعظة فكثيرا ما كان لهذه الطريقة في معالجة الأخطاء نتائج طيبة ووجد كثير من القراء ذواتهم من خلال تشابه الحالة الإنسانية في القصة أو الرواية التي بين أيديهم فوقفت أقدامهم عند أول خطوة قبل الانزلاق أو بدأت تتراجع قبل الوصول إلى الهاوية ونقيض ذلك مبثوث في الروايات الهابطة التي ترغب في أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فكم جرت على قرائها من ويلات وكم دفعت بهم إلى مآس كانوا في غنى عنها .

***

# الفصل الحادي عشر
# أهمية المسجد في حياة المسلمين

# الحادي عشر

# أهمية المسجد في حياة المسلمين

حفلت السيرة النبوية ، والأحاديث الشريفة بالحديث عن المسجد فعرف دوره داراً للعبادة والقيادة ، ومكانا للقضاء بين الناس ، ومركزا لانطلاق الجيوش ، ومدرسة للعلم والتعليم ، وناديا للحوار والمذاكرة ..... واستمر يؤدي دوره في مختلف العصور، كما في المسجد الحرام والمسجد النبوي، والأزهر الشريف، ومسجد بني أمية وجامع الزيتونة وكثير من المساجد فقد كان مركز إشعاع وقاعة مؤتمرات، وأندية مباحثات تدرس فيها أوضاع الأمة، ويتخذ فيها أهم القرارات في حياتها واقعا ومستقبلا .

لقد أبرزت القصة الإسلامية المعاصرة هذا الدور، ووضحت مكانة المسجد في حياة المسلمين؛ فبقي المسجد في ذاكرة القاص المسلم يستلهم من روحانيته، ويستمد من إشعاعه ، ويعكس آثره في حياة الفرد والجماعة.

فهم مجاهدون ينطلقون من ساحاته، وتائبون يتأوهون في محرابه، وعلماء يصدعون بكلمة الحق من فوق منابره، ودعاة

يهزون أعمدة الشاردين .بمواعظهم وإرشادهم، وشباب يؤوبون بعد أن انغمسوا في ملذات الحياة؟ حتى ليكاد تيارها يدفعهم إلى الأعماق لولا نقطة الضوء التي غرسها المسجد في قلوبهم تضيء لهم طريق العودة ، والفرار إلى الله ... ويظل المسجد رمزا للطهر ، وعنوانا لمواجهة الباطل، ومنارة خير يهتدي بها الخابطون إلى بر الهدى والأمان! .

ففي خضم الحياة، ومع تجاذب تيارات الشباب يكاد الفتى يسار كما في قصة (حديث الشيخ) لداود سليمان العبيدي ، ينزلق في الهاوية بعد أن راهن أحدهم على إغوائه عن طريق جارية حسناء تتعرض له في الطريق بحجة إعانتها على حل مشكلة لها ويتأرجح الفتى وقد شغلته، ويستدرجه المراهن إلى منزله ليطلعه على مخطوط نفيس، فيجمعه بالجارية ، ويقدم له كأسا من الخمر وهو يقول : اشرب – يا يسار – لقد أقسمت أن أسقيك بنفسي وبذلت للجارية ألف دينار؟؟ فيرتاع يسار، وتلوح له صورة المسجد بطهره وروحانيته، ويتذكر صورة إخوانه وثقة الشيخ به فيتفجر غاضبا ، يركل الطاولة ، ويمضي وهو لا يلوي على شيء، يحث الخطى إلى المسجد، فيصل إليه ، وقد أديت صلاة العشاء والشيخ لا يزال في مكانه ، كأنه ينتظره ، وتتحول الكلمات إلى

دموع وهو يستمع إلى قوله تعالى : ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾ طه: آية ٨٢، وفي قصة (فلا تنسَ الله) لليلى حلو يصبح المسجد ملاذا تلوذ به وقد داهمها السرطان ، وهي في بلاد الغرب ، فاستولى عليها الرعب ، وفتح الله لها باب اللجوء إليه ، بالدعاء فتسافر إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وتنقطع للصلاة والدعاء ، وتلزم الحرم وتكثر من شرب ماء زمزم ، فتحس بانشراح في الصدر، وإشراق الإيمان في القلب ويمن الله عليها بالشفاء، وهي في حرم مكة ، وتعود إلى الغرب، ويشك الأطباء أنها المريضة التي كانت تتردد عليهم من قبل .

ويبرز في هاتين القصتين دور المسجد في حياة شاب كادت تزل قدمه، وفي حياة امرأة كاد اليأس يقضي عليها ؛ فيجدان في المسجد من خلال العودة إلى الجذور حبل نجاة يقود إلى بر الأمان.

وفي أقصوصة( نور من المحراب)[٨٨] من مجموعة ( يا أيها الإنسان ) ليوسف العظم حديث عن رجل قوقازي مهاجر متمسك بدينه، يحرص على ابنه الذي ينحرف فترة من الزمان ،

---

(٨٨) نور من المحراب ص ١٢١ .

ثم يؤوب إلى الله! وفي المسجد يكون اللقاء فقد اصطف المصلون ، وراح صوت الإمام رخيا نديا ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ الزمر آية ٥٣ وختمت الصلاة . وكانت مفاجأة لم تخطر على بال الشيخ . . كان الذي يجاوره ابنه (حميد) ولده المنحرف في الصف الأول مع المصلين؟! وعقدت الدهشة لسان الشيخ و لم يتكلم ، فأمسك الشاب بيد أبيه يغسلها بدموع التوبة والندم ، ثم رفع رأسه يقول : أبي لقد أمضيت ليلة البارحة هنا في عتمة الليل..... وصمت المحراب... لقد عدت يا أبي.... نعم يا أبي! لقد عدت إلى الله .

كما برز المسجد بوصفه منطلقا للجهاد يتربى فيه الشباب على التضحية والفداء، لينطلقوا في سبيل الله كما انطلق أسلافهم يواجهون الظلم بأنواعه ،وتجلي القصة الإسلامية هذه الحقيقة من خلال أعمال متعددة : ففي رواية ( الإعصار والمئذنة) يتحدث الدكتور عماد الدين خليل عن المواجهة بين الشيوعيين ومدينة الموصل في عهد عبد الكريم قاسم ، فاتخذ المؤلف من المئذنة رمزا لصمود المدينة المجاهدة في وجه الإعصار المخرب الذي يعقله الشيوعيون آنذاك ، وقد انطلقوا يقيمون المجازر، وينصبون أعواد المشانق على أعمدة الكهرباء وأشجار الشوارع؟!! فربط

بين بطل الرواية (هاشم) الذي سقط من شدة التعذيب وهو يختلج والابتسامة على شفتيه، وسبابته تنطلق من أسر القبضة لكي ترتفع قليلا، وبزاوية مائلة نحو السماء ، وبين المئذنة التي ترمز إلى الإسلام الذي يتعرض للمحن والدواهي، ولكنه يظل صامدا ناهضا في وجه الأعاصير.

وهاهي ذي (فاطمة) في أقصوصة ( بقعة ضوء) [٨٩] من مجموعة (المطر المر) لمحمد السيد تحمل عبء المواجهة في الدفاع عن المسجد الإبراهيمي الذي دنسه الاحتلال ، ووقف جنود البغي على أبوابه يهددون الداخلين إليه . . .

((الجنود الغرباء القساة يمرحون ويعربدون في ساحاته، والرجال يطأطئون الرؤوس، ويرفعون الأيدي للتفتيش، تحسست فاطمة محفظتها، وأسكتت كل نداء فشدت طرفي غطاء رأسها على عنقها جيدا وهي تتقدم بخطى ثابتة وئيدة ، واستلت من كمها سكينا وتعلقت بعنق الجندي صائحة : لقد دنستم المكان يا أوغاد.... أما آن لكم أن ترحلوا..... خذها من يد فاطمة، وطعنته في عنقه، وترنح الوغد تحت وطأة جراحه ، وراح يخور بصوت أجش...... والتفت الناس وقد سمعوا صوت طلقات ليروا امرأة تغرغر بالروح ، وهي ما

(٨٩) بقعة ضوء ص ١١٣ .

تزال تتشبث بعنق الجندي المطعون..... كانت فاطمة تهمس بصوت لا يكاد يسمع : ماذا فعل الوغد ؟؟ مشيرة إليه ، ثم تتمتم : سمية كانت شهيدة ! أليس كذلك؟؟

ويدير محمد السيد في أقصوصة ( متى تعود الطيور مهاجرة )[٩٠] من مجموعته (شاطئ الرؤى الخضر) حديثا بين المدينة المقدسة ، ومنبر صلاح الدين ( الشخصيتين الوحيدتين في الأقصوصة ) فالمدينة تتطلع إلى جنود صلاح الدين تترقب قدومهم ، والمنبر يقف شامخا في حزن ،فهو لا يجد هؤلاء الجنود الذين عرفهم من قبل ، ويكاد صبر المدينة ينفد ، وهي تتساءل متى يحين الوقت الذي تتخلص فيه من المحنة ، ونفك القيد الذي كبلنا كل هذه السنين ؟ ليجيب المنبر قائلا : عندما تلد الكتيبة الكتيبة ، ويصبح الموت جرعة شراب مريئة ، تزغرد لها النساء ، ويطلبها الرجال . . . . عندما يجتمع الصف إلى الصف ، ويعضد الساعد الساعد ويرفرف فوق كل ذلك روح صلاح الدين ، ورايات عمر ، وشعارات قطز و إذا كان الكاتب قد أنطق الجماد ، فهو لم يبعد كثيراً ، فللمنبر قلب يخفق ، وللمدينة مشاعر تتحفز ، فالأمكنة تتبدل وجوهها - وهي لم تتغير - بتبدل القاطنين ، فكيف إذا تبدل عزها ذلا ،

---

(٩٠) متى تعود الطيور المهاجرة ص ١٥ .

وشموخها انكساراً ، وطهرها دنساً؟؟!

أجل إنها جماد ولكنها تحن إلى سابق عهدها الكريم العزيز ، وتئن من واقع أليم مرير ، ومن قبل قال رسولنا صلى الله عليه وسلم : (( أحد جبل يحبنا و نحبه )) على الرغم من الجراحات وفقد الأحبة .

لقد أخذ المسجد حيزا لائقا في موضوعات القصة المعاصرة يتناسب مع مكانته ودوره في حياة المسلمين ؟ وهو دور لا يزال يتجدد ويمتد ، ولعل الانتفاضة التي انطلقت من رحابه كانت أصدق تعبير كما أن فتيانها كانوا أجمل بشارة في ليل الإحباط البهيم ونؤكد القول بأن الإحساس بالمكان هو إحساس أصيل وعميق في الوجدان البشري وخصوصا إذا كان هذا المكان هو وطن الألفة والانتماء ، وقد ظل المسجد في القصص التي عرضنا لها من خلال شخصية ( يسار ) في (حديث الشيخ) وليلى الحلو في ( فلا تنسَ الله ) وحميد في (نور من المحراب) وفاطمة في (بقعة ضوء) مناراً للنجاة ومنطلقا للحياة الكريمة قد التحم بأحاسيس هذه الشخصيات وفكرها وكان لها موقف إزاء هذا المكان الذي احتواها جسدا وعاطفة وأملاً يشرق بعد قنوط .

***

# الفصل الثاني عشر

# استشراف المستقبل

# الفصل الثاني عشر
# استشراف المستقبل

يعيب بعض النقاد على القصة الإسلامية أنها ترتكز على التاريخ والتراث في معظم ما تقدمه؟! أو نقد للواقع من خلال عرض مغلف بالمباشرة والوعظ. ولا يتبين عمق الحقيقة ؟! ! وأن الرؤية المستقبلية التي برزت في أعمال العديد من الكتاب العالميين تكاد تكون معدومة، أو هي غير موجودة أصلاً ! وبغض النظر عن المغالطة في النقد الأول والثاني، فإننا سنركن الحديث عن استشراف المستقبل بحيث تثبت الرواية الإسلامية المعاصرة أنها تقف على قدم المساواة مع كثير من الآداب العالمية. وأنها أي (القصة الإسلامية ) قدمت أعمالاً شملت نواحي الصراع المستقبلي الاجتماعي والسياسي والعسكري .

فقد كتب عبد الودود يوسف روايتين تنطلقان من رؤية مستقبلية وتعالجان قضيتين من أخطر قضايا الحياة ، فأظهرت روايته (( ثورة النساء )) مدى ما تعانيه المرأة الغربية في المجتمعات المادية من خلال نظرة تشير إلى الواقع المزري للمرأة هناك؟! (( الذي يهدر كرامتها، ويستبيح أنوثتها

فيجعلها سلعة أو أداة ترويج سلعة ، أو عشيقة مقابل كلمات خادعة من الحرية والانطلاق، ويتصور أن يتفجر إحساس المرأة الغربية .بمهانة وضعها الحالي ليتحول إلى ثورة تعيد إليها كرامتها وأنوثتها المصونة، وقد اختار الكاتب البيئة الفرنسية لتكون ميدان قصته، لأن المرأة الفرنسية نموذج للمرأة الغربية في ذروة تحررها وشقائها في آن واحد . .

فنحن نصادف عائلة تمثل ذروة التفلت والمادية والتفتت: الأم ((سانيت)) تبغض زوجها ((بيتان)) وتنصب له الشراك لتسلبه منزله، وتلهو علانية مع عشاقها؟! والزوج له عشيقات كثيرات يسعى ليستمتع بحياته دون مبالاة... والابن ((بورجيه)) يرضع هذه القيم فيمتلئ جبناً ومادية .. في هذه البيئة نجد البطلة الفتاة ((ساموار)) فتاة بريئة تصدمها كل الأحداث في عائلتها، فتصاب بقرف شديد، وتتألم عندما ترى عائلتها تتخلى عنها كي لا تدفع أجور علاجها في المستشفى، ثم لتكون ضحية خصام والديها وانفصالهما عن بعضهما، وهكذا تبدأ ساموار تعمل في المستشفى لتسدد أجور علاجها، وتقاوم كل محاولات جرها إلى الرذيلة تعينها في ذلك صديقتها ((سوندا)) التي ذاقت

مرارة الابتذال، وما إن تكبر الفتاة على تناقضات مجتمعها، وترى غالب الذئاب البشرية تحيط بها من كل جانب ، حتى تصل إلى اقتناع كامل بضرورة حصول المرأة على كرامتها وعفتها وأمومتها الكاملة، وتبدأ مرحلة كفاح طويل مع زميلاتها ... وأخيراً تتعرف على الدين الإسلامي عن طريق كتاب يهديه لها أخوها وتكتشف أن ما تسعى لتحقيقه لبنات جنسها قد حقق الإسلام أضعافه ، فتتلاقى الفطرة السليمة مع الدين القويم وتعلن سامورا إسلامها ، وتتحول إلى داعية مسلمة تقدم حريتها ومن ثم حياتها في سبيل دعوتها . . .

وهكذا تصل الأحداث إلى ذروتها، ونطوي الصفحة الأخيرة منتشين بانتصار القيم على الرغم من استشهاد الداعية إليها ، ولقد نجح المؤلف في تطوير أحادث القصة ، والسير بها نحو التأزم ، وكان منطقياً في رسم الخاتمة ، فالدعوة باقية ))[٩١] والذين يقضون شهداء على الطريق .

وأما روايته (( كانوا همجاً )) فقد اعتمد فيها على حقائق الإسلام الغيبية المدعمة بالأحاديث الصحيحة لما ستكون

(٩١) دليل مكتبة الأسرة المسلمة، ص ( ٤٣٦ – ٤٣٧ ) – المعهد العالي للفكر الإسلامي ١٩٨٥ م .

عليه دولة الخلافة الراشدة التي أشار إليها النبي ﷺ في الحديث الشريف ، وهي محاولة تعالج واقع البشرية اليوم من خلال نظرة تستشف أستار المستقبل ، فتتعرض للحديث عن الإنجازات التي تبرز من خلال التوافق بين العلم والدين، فتعرض صوراً عديدة للحياة في ظل التطبيق الإسلامي الذي يستخدم التطور العلمي في سبيل سعادة الإنسان ، وتقارن ما بين الحياة التي يعيشها معززا مكرماً في ظل الخلافة الراشدة ، وبين حياته تحت نير الأنظمة الجاهلية لتظهر الفرق واضحاً على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، ومن خلال البركات التي تخرجها الأرض، والخيرات التي تصبها السماء رضاً بما يعمل الناس . . . تبين القصة مدى تحقق تكريم الإنسان وسموه في عالم الواقع والمشاعر حاكما ومحكوما رجلاً وامرأة ، أسود وأبيض ، عربيا وأعجميا . . كل أولئك تعرض لهم الرواية ما يقابلهم في الأنظمة الشاردة عن منهج الله، لتصل بالقارئ إلى أن الإسلام يمثل الكرامة الإنسانية ، وأن ما عداه هو تخلف وهمجية ، وتلك حقيقة المستقبل، والمستقبل لهذا الدين[٩٢] وأما فوزي صالح فقد مزج في روايته (( كنوز

---

(٩٢) صحيفة المسلمون - العدد / ٤٥٢ الجمعة ١٥ ربيع الآخر ١٤١٤هـ ، من مقالة للمؤلف بعنوان "قضية للنقاش" .

قارون )) الواقع بالتاريخ ووظف ذلك ليبين مدى عداء يهود وجشعهم ، وأنهم لا عهد لهم ولا ذمة وأن مستقبل معاهدات السلام معهم هو النقض وعدم الالتزام لأنهم نشئوا على ذلك!! وينطلق المؤلف من الواقع وما يحويه من أزمات اقتصادية فيجعله مرتكزاً يتحرك اليهود من خلاله . وذلك أن أحد النواب اقترح لحل الأزمة الاقتصادية أن يتم البحث عن كنوز قارون في منطقة الفيوم ؛ لأن عرافة هندية قابلته في لندن ، وأخبرته بوجود هذه الكنوز! وتكشف الرواية بعد ذلك أن العرافة لم تكن سوى عميلة للمخابرات الإسرائيلية ، أوهمت النائب أنها قابلته مصادفة ، وكان القصد إشغال المصريين؟! وتنطلي الحيلة، وينطلق الأهالي والطلاب ، وتغلق المدارس والجامعات ، ويبدأ البحث والتنقيب! ويمد اليهود حبل الوهم مسافة أطول ، فيصرحون بأن المكان الذي يعثر فيه على الكنوز أرض إسرائيلية يجب أن تحرر ، وعلى إسرائيل أن تعد العدة لذلك الخطر القادم من الحدود الغربية . . وترد مصر بإغلاق سفارتها في تل أبيب ويقتل النائب في ظروف غامضة ، ويخرج آخر ليقترح هدم مدينة الزقازيق لأنها تقوم على أنقاض تل بسطة الأثري ، لأنها كانت منتجعاً للملوك العظام وأن الكنز تحتها ، ويجري البحث ولكنهم لم يعثروا إلا

على صناديق تحتوي جثثاً محنطة لقطط وسحالي وكلاب من عصر سيتي الأول؟! وفي جلسة للكنيسة الإسرائيلي يقول قائلهم : تعلمون أن المصريين منشغلون الآن بكنوز قورح بن يصهار، وأنهم سحبوا بعثتهم، وطردوا بعثتنا، ورغم أن الكنز عندنا من قديم الأزل إلا أن مجلسكم الموقر قرر بأغلبية الأصوات مد حبل الوهم لهم باستفزاز من جانبنا يوحي بانشغالنا واهتمامنا مثلهم بالقصية حتى يتلبسهم الوهم ، ويحسبوا أنها بالفعل موجودة . . . وعن المعاهدة يقول : رغم أن المعاهدة كانت مجرد أوراق تحمل توقيعات رسمية ، ولا تلزمنا بشي، إلا أن موضع القدم الذي حاربنا طويلا حتى اقتنصناه ، فُقِدَ لسوء تقديرنا للنتائج المترتبة على ما أقدمنا عليه. ويقترح عليهم إما القيام بضربة مفاجئة مستغلين التدهور الآني ، أو التراجع . . وكلا الأمرين مر . .

ويختتم البيان الختامي بالقول: إذا كانت مصر قد اعتبرت التدريبات الروتينية التي تجريها قوات الدفاع على الحدود الغربية تحرشات متعمدة فإننا نعتبر نقل جزء من القوات المصرية إلى الفيوم نوعا من التمويه و التغطية لعمل عسكري موجه ضدنا أساسا ونحن محافظة منا على السلام الدولي في

المنطقة ندعو مصر إلى إعادة سفيرها والجلوس إلى مائدة المفاوضات لرأب الصدع الناتج عن سوء فهم متبادل.

ويتضح من خلال هذه الرواية وما سبقها أن الرواية الإسلامية المعاصرة سبرت أغوار المستقبل بما يحمله من صراع فكري وسياسي واجتماعي وغير ذلك من خلال رؤية صادقة تعتمد على حقائق العلم وثوابت الحياة و تجارب التاريخ ولا تقف موقف المدافع عن الإسلام فحسب ولكنها تبشر به وتمضي معتزة بحقائقه داعية إليه.

وهي تتناول أشمل القضايا : إنسانية وعقدية وسياسية من خلال منظور إسلامي يقرب الواقع للآخرين ليريهم من خلال ما هم فيه من مشكلات وما يحيط بهم من أزمات أن نجاتهم بعد أن يعملوا عقولهم في الإسلام الذي يراعي الفطرة ويرتقي بها إلى المستوى اللائق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى وهي – الرواية الإسلامية – لا تضرب في أعماق المجهول ولا في غياهب الأمنيات ولكنها تتلاقى في استشرافها للمستقبل مع حقائق يتحدث عنها الواقع في تحرير المرأة و إكرامها بعد أن ذاقت الويلات حين ضيعت وظيفتها التي خصها الله بها .

وعن جرائم يهود وخططهم التي يعملون على تنفيذها

والتي يشهد الحاضر جزءاً منها . وعن تململ البشرية نتيجة بعدها عن منهج الله عز و جل ونحن نشهد اليوم دعوات لتبنيه والأخذ به من خلال الصحوة المباركة في مجتمعاتنا ومن خلال الصرخات التي تطلقها النخبة في مجتمعات الآخرين وانتشار الإسلام على الرغم من المعوقات في طبقاتهم المختلفة.

***

# النتائج والتوصيات

١ـ القيام بدراسات تؤكد عدم تقصير الفن الروائي في الأدب الإسلامي عن متابعة الأحداث وتصوير الواقع وانه ليس قصصا وعظية أو تاريخية .

٢ـ تشجيع كتاب القصة على المعالجة الجريئة لقضايا المسلمين المرتكزة على الأسس الشرعية وتقديم الحلول لها من خلال رؤية إسلامية تحدد وتسدد ، وتعطي القارئ الأمل بالنجاح ، وتريه نماذج إنسانية بقدراتها البشرية ، تتمكن من التغيير مع وجود الإرادة لذلك .

٣ـ طرح قضايا التاريخ الإسلامي في مراحل الصراع الداخلي بجرأة وواقعية يستندان إلى الروايات الصحيحة غير المتحيزة التي تتناسب تصرفاتها مع أناس لم يكونوا معصومين ولكنهم كانوا صادقين ، وأن تقتصر هذه المعالجات على الكبار ممن ترسخت في نفوسهم مفاهيم الإسلام واضحة ، وتستطيع عقولهم أن تستوعب هذه المعاني .

٤ـ إيجاد جوائز وحوافز لكتاب القصة الإسلامية لإبداع الروايات والأقاصيص.

٥ـ التشجيع على ترجمة الأدب القصصي لمختلف الشعوب الإسلامية ، وإبراز ما فيه من روائع تنافى الآداب العالمية.

٦ـ زيادة الاهتمام بهذا النوع من الأدب وتشجعه على معالجة مختلف

الموضوعات برؤية إسلامية .

٧_ توجيه القائمين على مناهج التعليم إلى اختيار القصص المناسبة لكل مرحلة ، ليقرأها الأبناء ويستمتعوا بها ويجنوا من فوائدها واضعين نصب أعينهم أهداف القصة الاسلامية ، في تثبيت روح الإيمان و معالجة الأوباء الخلقية و الانحرافات ، وترهيب المنحرفين والضالين ومعالجة مشكلة القلق التي أصبحت في طليعة مشكلات العصر ، والتصدي للأمراض الاجتماعية التي توهن قوة الأمة وإبراز انتصار الخير على الشر والنفوذ إلى أغوار النفس الإنسانية وبيان مكامن الضعف والقوة فيها .

٨_ التأكيد على أن القصة تعد مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعاة إلى الناس وإلى عقولهم وبيان أثرها في تغيير الأوضاع النفسية والاجتماعية وغيرها .

٩_ الدعوة إلى تجنيد الفن القصصي لخدمة العقيدة وجعل القصة مطية ذلولا للتربية والتوجيه ( فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ) . سورة الأعراف آية:١٧٦

١٠_ الاهتمام بالقصص القرآن والنبوي ، ولا سيما القصص التي تناولت الشخصية الإنسانية ، وإبراز البطولة في الموقف الذي يحقق فيه الإنسان عزه ورفعته و انتصار الخير والفضيلة .

١١_ الانتقاء من الواقع واختيار أنبل ما فيه ، وذلك بتقديم النماذج المشرقة وإظهار قيم العدل والتفاؤل والأمل .

١٢_ التأكيد على أن الالتزام بالقيم والفضائل والهدف السامي لا

يحول دون التفوق في التشكيل الجمالي والصياغة الفنية وذلك من خلال التعريف بنماذج من القصة الإسلامية التي بلغت ذروة النضوج الفني .

١٣_ التذكير الدائم بأهمية القصة وأنها بلغت ربع القرآن تقريبا ، إذ ظهرت في (١٥٩٩) آية ، أي بنسبة (٢٦٪) من الكتاب الكريم .

***

# المراجـع

**الكتب :**


١- الاتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية لعبد الله بن صالح العريني من منشورات المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، الرياض – ١٤٠٩ هـ - ط ١.

٢- الأدب الصهيوني بين حربين ، د . إبراهيم البحراوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ، ط ا – ١٩٧٧م .

٣- تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية ، نجيب الكيلاني \ دار ابن حزم\ بيروت ط ١ \ ١٩٩١ م .

٤- حقائق ووثائق عن الحركات التنصيرية في العالم الإسلامي(دراسات ميدانية ) د . عبد الودود شلبي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - ط ١ - ١٩٨٩ م .

٥- خصائص القصة الإسلامية ، د . مأمون فريز جرار ، دار المنارة – جدة – ١٩٨٨ م – ط ١.

٦- رحلتي مع الأدب الإسلامي ، د . نجيب الكيلاني ، بيروت – مؤسسة الرسالة – ١٩٨٥ م – ط ١ .

٧- في الأدب الإسلامي المعاصر ، لمحمد حسن بريغش ، الرياض – مكتبة الحرمين –١٩٨٢ م - ط ١ .

٨- في ظلال القرآن ، سيد قطب \ ج ٣ .

٩- القصص الإسلامي المعاصر عرض وتوثيق : يحيى الحاج يحيى : جدة – دار المجتمع – ١٩٩٤ م – ط ١ .

١٠- مأساتنا في أفريقيا ، د. عماد الدين خليل - مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ – ١٩٨١ م .

**الروايات والقصص :**

١- أبو دومة و الحرامية ، حسن دوح ، القاهرة ، دار الأنصار ، ١٩٨٢ م – ط١ .

٢- أختاه أيتها الأمل ، أحمد بدوي – مؤسسة دار الرسالة – بيروت \ط ٤\١٤٠٣ هـ.

٣- إصلاح عزيز الإبراشي \ دار الفكر \ بيروت- لبنان ط سنة

٤- الإعصار والمئذنة ، د. عماد الدين خليل – بيروت – مؤسسة الرسالة – ١٩٨٥م – ط١ .

٥- أطفال الحجارة ، سلسلة (١-١٠ ) ، عبدالله الطنطاوي \دار الإيمان للنشر والتوزيع ، عمان الأردن\ ط ١ – ١٩٩٣ م

٦- ثورة النساء ، عبدالودود يوسف – القاهرة – دار السلام – ١٩٨٤ م – ط ٤ .

٧- حديث الشيخ ، داود سليمان العبيدي ، مكتبة المنار الإسلامية \الكويت\ ط -٢ ١٣٩٨ هـ.

٨- دم لفطير صهيون ، د. نجيب الكيلاني – بيروت دار النفائس – ١٠٩١ م – ط ٥ .

٩- السنوات الرهيبة ، جنكيز ضاغجي – جدة – دار المنار – ١٩٨٨ م – ط ١ .

١٠- الطريق الطويل ، د.نجيب الكيلاني – بيروت – مؤسسة الرسالة – ١٩٧٧م ط ...

١١- الظل الأسود ، د.نجيب الكيلاني – بيروت – دار النفائس – ١٩٨٢ م – ط١ .

١٢- عذراء جاكرتا ، د .نجيب الكيلاني - بيروت – دار النفائس – ١٩٨٤ م – ط ٨ .

١٣- عمالقة الشمال ، د. نجيب الكيلاني - بيروت - دار النفائس – ١٩٨٤م - ط ٨.

١٤- فلا تنس ذكر الله ، ليلى الحلو / دار الرشاد / الدار البيضاء – ط ٣ – ١٤٠٥ هـ .

١٥- كانوا همجاً ، عبد الودود يوسف – القاهرة – دار السلام – ١٩٨٥ م – ط ٢ .

١٦- كنوز قارون ، فوزي صالح – بيروت – مؤسسة الرسالة – ١٩٨٨ م – ط ١ .

١٧- ليالي تركستان ، د . نجيب الكيلاني – بيروت – دار النفائس – ١٩٨٤ م – ط ٨ .

١٨- مشرد بلا خطيئة ، د . محمد عبده يماني – جدة – دار القبلة الإسلامية – ١٩٩٠ م - ط ١.

١٩- النداء الخالد ، د . نجيب الكيلاني –بيروت - مؤسسة الرسالة – ١٩٨١ م – ط ٤.

٢٠- نور الله ، د . نجيب الكيلاني – بيروت – مؤسسة الرسالة – ١٩٧٢ م – ط.

٢١- الهجرة من أفغانستان ، مرال معروف – بيروت – الدار الشامية – ١٩٩٠ م – ط ١ .

**المجموعات القصصية :**

١- الألغام المتفجرة ، محمد المجذوب – القاهرة – دار الاعتصام – عام ... – ط ..

٢- إلى أين الرحيل ، د . علي إسحاق الشواخ – دار السلام – ١٤٠٤ هـ - ط ١

٣- بطل من الصعيد ، محمد المجذوب – القاهرة – دار الاعتصام – ١٩٧٨ م – ط ٣ .

٤- خط اللقاء ، مجموعة من الكتاب – عمّان – دار عمار – ١٩٨٨ م – ط ١ .

٥- ذرية بعضها من بعض، عبد الله الطنطاوي – حلب – المكتبة العربية – ١٩٧٧ م – ط ١

٦- سلة الرمان ، إبراهيم عاصي – الدوحة – دار الثقافة – ١٩٨٦ م – ط ٣ .

٧- شاطئ الرؤى الخضر ، محمد السيد – عمّان – دار الفرقان – ١٩٨٢ م – ط ٢ .

٨- عندما تتكلم الدماء (عبد الناصر محمد مغنم) لجنة شباب فلسطين – الندوة العالمية للشباب الإسلامي / الرياض/ ط ١ / ١٩٩٦ م .

٩- القارب ، محمود مفلح – بيروت– مؤسسة الرسالة – ١٩٨٧م – ط ٢ .

١٠- قصص من الكتب المقدسة ، عبدالحميد جودة السحار – القاهرة – مكتبة مصر – عام ... – ط ..

١١- المطر المر ، محمد السيد ، دار عمار – عمّان / الأردن/ ط١ – ١٤٠٨ هـ .

١٢- ميلاد جديد ، حنان لحام / دار الهدى / الرياض / ط ٤ / ١٤٠٥ هـ

١٣- هناك طريقة أخرى ، حيدر قفة – عمان – المؤلف – ١٩٨٨ م – ط ١ .

١٤- ولهان والمتفرسون ، إبراهيم عاصي – القاهرة – دار السلام – ١٩٨٤ م – ط ٣ .

١٥- يا أيها الإنسان ، يوسف العظم – بيروت – المكتب الإسلامي – ١٩٨٣ م – ط ٣ .

**المجلات و الصحف :**

١- المسلمون – (صحيفة أسبوعية) سعودية – العدد (٤٥٢) ، ١٥ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ .

٢- الخيرية (الكويت) العدد ٥٩ – شوال ١٤١٥ هـ .

٣- المجتمع (الكويت) العدد ١٢٠٧ – ٩ / ٧/ ١٩٩١م .

٤- المشكاة (مجلة فصلية) مغربية – العدد (٨) ١٩٨٨ م .

***

# فهرس المحتوى

# هذا الكتاب

فأردنا بهذا الكتاب أن نبين أن هناك عشرات ومئات الروايات والمجموعات القصصية التي تدافع عن الإسلام قيما وعقيدة وتاريخا وتطبيقا وحاضرا ومستقبلا، ووجدنا أن الأمر يتطلب إبراز دور القصة الإسلامية بعد أن أخذت مكانتها في فنون الأدب وبعد أن تفوقت على كثير منه وظهرت الحاجة الماسة إليها لأنها كانت وما تزال، مدخلا طبيعيا يدخل منه أصحاب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس وإلى عقولهم ليلقوا فيها بما يريدونهم عليه من آراء ومعتقدات وأعمال ولعل عصرنا يشهد ما للقصة من اثر في الحياة وتكوين وجوهها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فهي سلاح فعال في النفوس، فإذا استطاع الداعية أن يستخدم هذه الأداة الممتازة ضمن دائرة الإسلام و لمصلحة هذا الدين والخلق كان القصص محمودا وطيبا ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى وجود القصة الهادفة بالإطار الفني المتعارف عليه وسنجد في فصول هذا الكتاب أن القصة الإسلامية لم تقف عند خندق الدفاع عن الإسلام فحسب ، ولكنها تخطته لتهاجم الخصوم في عقر دارهم ، فتكشف مخططاتهم وتبين زيف ادعاءاتهم؟!

ردمد ٢٤٣٤ - ١٣١٩ ISSN